مجلة تدبر

البحث الثالث :

السُّنَنُ الإلهيَّةُ الكونيَّة والاجتماعيَّة
لطائفُ وبصائرُ

د. رشيد كهوس

أستاذ التعليم العالي مشارك
ورئيس «فريق البحث في السُّنن الإلهية»
بكلية أصول الدين بتطوان جامعة عبد المالك السعدي - المغرب

- حصل على درجة الماجستير من كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الأول وجدة - المغرب، تخصص: (فقه الأسرة والتحولات المعاصرة)، في موضوع: «القوامة والدرجة والفضل في ضوء القرآن والسنة وأقوال علماء الشريعة».
- حصل على درجة الدكتوراه من كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الأول وجدة - المغرب، بأطروحته: (سنة الله في جهاد رسول الله ﷺ)

ملخص البحث

إن السُّنن الإلهية هي فلسفة القرآن للكون والحياة، وهي الميزان الذي توزن به أحوال الأمم والحضارات؛ حيث لا تستقيم أحوال الأمة، إلا إذا فهمت هذه السُّنن الإلهية الكونية والاجتماعية، وانسجمت حياتها وتكيفت معها. ومتى أعرضت عنها وتنكبت هديها جهلا أو غفلة أو تهاونا أو عنادا واستكبارا؛ فإنها حتما ستواجه مصير أمثالها، وتلاقي جزاءها دون تخلف أو محاباة.

أهداف البحث:

- **تأكيد** أهمية موضوع السُّنن الإلهية ومكانته في القرآن الكريم.
- **التعريف** بالسُّنن الإلهية الكونية والاجتماعية.
- **إبراز** مراعاة السُّنن الإلهية في حياة الأمة.

منهج البحث:

لم يخرج البحث عن نطاق القرآن الكريم؛ فهو دراسة موضوعية تنطلق من كتاب الله وتعود إليه، وقد اعتمدت المنهج الاستقرائي والتحليلي والاستنباطي، وذلك بتتبع الآيات القرآنية المتعلقة بالسُّنن الإلهية، ثم تحليلها باعتماد أقوال المفسرين، ومن ثمَّ استنباط المعاني والدلالات، وما ترشد إليه الآيات.

أهم نتائج البحث:

- إن القرآن الكريم أبرز السنن الإلهية وبيَّن أهميتها في حياة الأفراد والأمم والحضارات، وأثر العناية بها.

- **إن السُّنن الإلهية** منها ما يتعلق بالكون (وهذا النوع خارج عن إرادة الإنسان واختياره)، ومنها ما يتعلق بسلوك الإنسان - وحركته في المجتمع والتاريخ - وتكليفه الشرعي. وهذان النوعان مرتبطان بينهما، ولا يمكن فصل أحدهما عن الآخر.
- **إن عدم مراعاة السُّنن الإلهية في الحياة الإنسانية** له آثار وخيمة على الإنسان فردًا أو جماعةً أو أُمةً وحضارةً.

❁ توصيات البحث:

- **إدراج مادة «السُّنن الإلهية»** ضمن المساقات الدراسية بجامعات العلوم الشرعية وكلياتها.
- **تخصيص الرسائل الجامعية** في المعاهد والكليات الشرعية لدراسة السُّنن الإلهية في القرآن الكريم، تنظيرًا وتطبيقًا.

❁ الكلمات المفتاحية:

الاستفهام_ الإنكار_ القرآن_ النفي_ التوبيخ_ التعجب.

❁❁❁

مقدمة

الحمد لله الذي خلق المكوَّنات بقدرته، وأبدع الكون بحكمته، أحاط بكل شيء علما، وأحصى كل شيء عددا، جعل للكون والحياة سننا وشرع لعباده من الأحكام ما يكون لهم ذخرا وسندا، وأشهد أن لا إله سواه، ولا معبود عَلاه، جلّ عن الشركاء والأنداد، وتقدّس عن الصاحبة والأولاد، وأشهد أن نبينا محمدًا عبده المصطفى ونبيه المجتبى، أرسله بالحق اليقين، والحجة الباقية إلى يوم الدين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

فيقول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤].

إن السُّنن الإلهية هي الميزان الذي نحكم به على سائر الأمور، والمقياس الذي نقيس به الأحوال كافة، وهي الفلسفة القرآنية التصورية للكون والحياة، الناظمة للعلاقات بين مختلف التجمعات البشرية والأنساق الحضارية، وهي مفاتيح لفهم تدفق الحياة والوجود وحركة التاريخ وتشكُّل المصائر... لذلك توقف صلاح المجتمعات البشرية وفلاحها ونهوضها وسقوطها على مدى اهتدائها بهدايات السنن، وامتثالها بأحكامها، وعملها بمقتضياتها، والسير في طريقها المستقيم الذي لا اعوجاج فيه ولا التواء.

ذلك بأن السُّنن الإلهية منها ما هو كونيّ متعلِّق بخَلْقه تعالى، ومنها ما هو دينيّ متعلِّق بأمره تعالى، ومن ثمّ فإنها يخضع لها كل ما في الكون، سواء الكون المادي الطبيعي؛ أي: الكواكب، والأجرام، والذرات، والمجرات... أو الكون الاجتماعي البشري: كالنفس الإنسانية، والسلوك الاجتماعي، وقيام الأمم

وسقوطها، ومصداق ذلك قوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [آل عمران: ٨٣].

لكن المُلاحَظ على فقه السُّنن الإلهية (الفقه الحضاري - فقه الحياة) أنه لم ينل تلك العناية الخاصة التي نالتها باقي علوم الإسلام، ومن ثم أصبح من الواجب التوجه نحو القرآن الكريم قراءةً وتدبرًا واستنباطًا؛ للوقوف على المعالم الكبرى والقواعد الأساسية لهذا الفقه الحضاري.

ذلك بأن دعوة القرآن الكريم إلى السير في الأرض لاكتشاف سُنن الله في الكون وتسخيرها لمصلحة الأمة أدلُّ على إثبات عظمة الخالق جَلَّ وَعَلَا وصدق الرسالة القرآنية الخالدة، من مجرد البحث في القرآن الكريم لاكتشاف الآيات التي تثبت ما أنجزه غيرنا!

هذا وقد تكفَّل الوحي (قرآنًا وسنةً) بتقديم بناء متكامل للمنظومة السننية التي تُحقِّق الرقي الروحي والعقلي والأخلاقي والاجتماعي للإنسان - فردًا وجماعةً وأُمةً وحضارةً - وترقى به إلى مرتبة الاستخلاف في الأرض، وإلى مرتبة الإنسان الصالح في الدنيا والآخرة.

لكن على الأمة أن تستقرئ آيات الكتاب المسطور (القرآن)، وآيات الكتاب المنظور (الكون) - كما فعلت مع فقه الأحكام - لاستكناه كلمات الله التامات وعهوده البينات، واستخراجها في قواعد ذات موضوع واحد؛ حتى يُلِمّ الإنسان بجُلّ السُّنن في الموضوع الواحد؛ ليمضي على بينة من ربِّه بكل ثقة وعزم وحزم نحو غاياته الكبرى (عمارة الأرض، والنهوض بأمانة الاستخلاف، وعبادة الله تعالى).

هذا والأمة لا يستقيم حالها، إلا إذا فهمت هذه السُّنن الإلهية، وانسجمت حياتها وتكيفت معها. ومتى أعرضت عنها وتنكبت هديها جهلا أو غفلة أو تهاونا أو عنادا واستكبارا؛ فإنها حتما ستواجه مصير أمثالها، وتلاقي جزاءها دون تخلّف أو محاباة.

❁ حدود البحث:

يقتصر هذا البحث على تحديد مفهوم السُّنن الإلهية الكونية والاجتماعية، وبيان حجيتها، والكشف عن آثار مراعاتها.

❁ أهداف البحث:

- تأكيد أهمية موضوع السُّنن الإلهية ومكانته في القرآن الكريم.
- التعريف بالسُّنن الإلهية الكونية والاجتماعية.
- إبراز أثر مراعاة السُّنن الإلهية في حياة الأمة.

❁ أسئلة البحث:

- ما مفهوم الإلهية؟
- وما مفهوم السُّنن الكونية والاجتماعية؟
- ما هي آثار مراعاة السُّنن الإلهية؟

❁ منهج البحث:

لم يخرج البحث عن نطاق القرآن الكريم؛ فهو دراسة موضوعية تنطلق من كتاب الله وتعود إليه، وقد اعتمدتُ المنهج الاستقرائي والتحليلي والاستنباطي، وذلك بتتبع الآيات القرآنية المتعلقة بالسُّنن الإلهية، ثم تحليلها باعتماد أقوال

المفسرين، ومن ثمَّ استنباط المعاني والدلالات، وما ترشد إليه الآيات.

❁ الدراسات السابقة:

يندرج بحثي هذا في سياق عدد من الدراسات السابقة التي تناولت موضوع السُّنن الإلهية من جوانب مختلفة، أذكر منها:

كتاب «أزمتنا الحضارية في ضوء سُنَّة الله في الخَلْق»، للدكتور أحمد محمد كنعان، وقد جعله في ثلاثة فصول، قدَّم لها بمدخل ناقش فيه العلاقة بين الجهد البشري والسُّنن الإلهية، ثم تعرَّض في الفصل الأول لأسباب اهتمامه بالسُّنن، وبسط القول في دعوة الوحي (قرآنًا وسنةً) إلى السير في الأرض، والنظر في آيات الله؛ للاهتداء بها في التعامل مع مخلوقات الله تعالى، وذكر في هذا الفصل أيضا خصائص السُّنن الإلهية، كما تناول بالتفصيل ظروف تحقق السُّنن الخارقة، كما هي الحال في المعجزات والكرامات.

أما (الفصل الثاني) فقد خصَّصه لمناقشة عدد من القضايا المهمة التي لها علاقة مباشرة بالأزمة الحضارية الراهنة: كقضية الحرية، والعلم، والاجتهاد، وعلم الغيب.

كتاب «مفهوم السُّنن الإلهية من الفهم إلى التسخير دراسة في ضوء القرآن الكريم»، للدكتور رمضان خميس زكي الغريب، وهذا الكتاب دراسة مفيدة ونافعة، قسَّمها الباحث أربعة فصول: تناول في الفصل الأول مفهوم السُّنن الربانية وأهمية دراستها والآثار المترتبة على إهمالها، أما الفصل الثاني فخصَّصه للحديث عن خصائص السُّنن الربانية وصيغ ورودها في القرآن الكريم وموارادها، وصور التعبير عنها، في حين أفرد الفصل الثالث للعلاقة بين السُّنن الكونية والسُّنن الربانية، أما الفصل الرابع فبيَّن فيه منهجية التعامل مع السُّنن الربانية.

كتاب «سنن الطبيعة والمجتمع في القرآن الكريم - دراسة تأصيلية تطبيقية»، للدكتور بكّار محمود الحاج جاسم، وقد قسَّمه الباحث إلى بابين:

جعل الباب الأول دراسة تأصيلية لمصطلحات الكتاب؛ حيث عرَّف بالسُّنن الإلهية، وبيَّن أشكالها وخصائصها وبعض القضايا المرتبطة بها: كالقضاء والقدر، والمشيئة الإلهية، والحتمية والاحتمالية، والغيب والشهادة وغير ذلك، كما عرَّف بالطبيعة وبيَّن منهج القرآن الكريم في الحديث عنها، وضوابط التفسير العلمي في القرآن الكريم، كما عرَّف بالمجتمع وما يتعلق به.

أما الباب الثاني فخصَّصه لنماذج من سُنن الله في الطبيعة والمجتمع: كالحكمة، والهداية، والتسخير، والحياة والموت، والاصطفاء، والتدافع، والاستدراج، والإملاء، وإهلاك الأمم، والاختلاف والتفاضل، والرزق، والابتلاء، وغير ذلك من سننه تعالى في الطبيعة والمجتمع.

وقد استفدت منها جميعا، لكن الجديد الذي أتى به البحث هو ذكر مرادفات السُّنة الإلهية في القرآن الكريم، وكذلك التفصيل في تقسيم السُّنن باعتبار مجال سريانها إلى نوعين: سُنن الله في نظام الكون، وسُنن الله في سلوك الإنسان. فضلا عن الحديث عن آثار مراعاة السُّنن الإلهية في حياة الأمة، وسيرورتها التاريخية، وصيرورتها الحضارية.

❁ محاور البحث:

تحقيقًا للأهداف السابقة سيكون بحثي في مبحثين رئيسين:

- سأخصِّص المبحث الأول للتعريف بالسُّنن الإلهية وبنوعيها الكونية والاجتماعية.

- في حين سأخصِّص المبحث الثاني لآثار مراعاة السُّنن الإلهية في حياة الأُمّة ومسيرتها الحضارية.

المبحث الأول

مفهوم السُّنن الإلهية الكونية والاجتماعية

المطلب الأول

في تعريف السُّنن الإلهية

١) السُّنة لغةً:

للفظة السُّنة دلالات ومعان في سياقاتها المختلفة:

السين والنون أصل واحد مُطَّرد، وهو جريان الشيء واطِّراده في سهولة، والأصل قولهم: سننتُ الماء على وجهي أسُنُّه سنًّا، إذا أرسلتُه إرسالًا. وامْضِ على سَنَنِك، أي وَجْهك وقَصْدك. وسَنّ اللهُ على يدي فلان قضاء حاجتي: أجراه. والسُّنّة: الطريقة والسيرة، حميدة كانت أو ذميمة [(١)].

ومن التعريف السابق نستطيع القول: إن معنى السُّنَّة في اللغة يدل على الطريقة والسيرة والوجهة والقصد والتوالي والتتابع والاطراد وجريان الشيء، أو الحكم على طريقة واحدة معتادة.

أما معنى سُنَّة الله في اللغة فهي: «أحكامه وأَمره وَنَهْيُهُ..»[(٢)]. قال العلَّامة الراغب الأصفهاني (ت: ٥٠٢هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «سُنَّة الله تعالى: قد تقال لطريقة حِكمته، وطريقة طاعته»[(٣)].

---

(١) لسان العرب، لابن منظور (١٣/ ٢٢٥ - ٢٢٦). مختار الصحاح، لأبي بكر الرازي، مادة (سنن) (ص١٤٣). المصباح المنير، لأحمد الفيومي المقرئ (ص١٥٢). معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (٣/ ٦٠). أساس البلاغة، للزمخشري (ص٤١٨).

(٢) لسان العرب، لابن منظور (١٣/ ٢٢٥).

(٣) مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني (ص٤٢٩). بصائر ذوي التمييز من لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (٣/ ٢٦٧).

وخلاصة القول: سُنَّة الله طريقة حكمته في مجازاته لخلقه التي تجري على نسق واحد منذ بدء الخليقة إلى يوم القيامة، وطريقة طاعة الخلق له بما شرعه من أوامر ونواه.

۞ ٢) الدلالة على السُّنَّة الإلهية في القرآن الكريم:

■ (أ) لفظ السُّنَّة في القرآن الكريم:

أنزل الله - تعالى وتقدَّس - القرآن الكريم بلسان عربي مبين، وكان معجزة خالدة على مر الأزمان والعصور، أعجز الفصحاء والشعراء والأدباء، وبهذا فإن ألفاظه لا تخرج عن معانيها في اللغة العربية إلا بقرينة، فلفظ السُّنَّة في القرآن الكريم أُطلق على ما هو عليه في لغة العرب، أي «الطريقة والخُطَّة المتبعة»[(١)]، وسُنَّة الرسل: «هي الشرائع الإلهية المنزلة لهداية الأمم»[(٢)]، والسُّنن جمع سُنَّة، وسُنَّة الله: «ما جرى به نظامه تعالى في خلقه»[(٣)].

وقد وردت كلمة السُّنَّة في القرآن الكريم بجميع صيغها ست عشرة مرة: بصيغة «سُنَّة» المفرد ثلاث عشرة مرة، بصيغة الجمع (سُنَن) مرتين، بصيغة «سُنَّتنا» مرة واحدة[(٤)]. وهي كالآتي:

- ﴿ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ ﴾ [الأحزاب: ٣٨].

- ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾ ﴾ [الأحزاب: ٦٢].

---

(١) معجم ألفاظ القرآن الكريم، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر (١/ ٦٢٤).

(٢) موسوعة الألفاظ القرآنية، لمختار فوزي النَّعال (ص٤١٣).

(٣) القاموس القويم في القرآن الكريم، لإبراهيم عبد الفتاح (١/ ٣٣١).

(٤) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لمحمد فؤاد عبد الباقي (ص٤٥١).

- ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا ٢٣ ﴾ [الفتح: ٢٣].
- ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدۡ مَضَتۡ سُنَّتُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٣٨ ﴾ [الأنفال: ٣٨].
- ﴿ ٱسۡتِكۡبَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَكۡرَ ٱلسَّيِّئِۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهۡلِهِۦۚ فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلۡأَوَّلِينَۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا ٤٣ ﴾ [فاطر: ٤٣].
- ﴿ فَلَمۡ يَكُ يَنفَعُهُمۡ إِيمَٰنُهُمۡ لَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَاۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ فِي عِبَادِهِۦۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٨٥ ﴾ [غافر: ٨٥].
- ﴿ سُنَّةَ مَن قَدۡ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِن رُّسُلِنَاۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحۡوِيلٗا ٧٧ ﴾ [الإسراء: ٧٧].
- ﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤۡمِنُوٓاْ إِذۡ جَآءَهُمُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّهُمۡ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمۡ سُنَّةُ ٱلۡأَوَّلِينَ أَوۡ يَأۡتِيَهُمُ ٱلۡعَذَابُ قُبُلٗا ٥٥ ﴾ [الكهف: ٥٥].
- ﴿ لَا يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ وَقَدۡ خَلَتۡ سُنَّةُ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٣ ﴾ [الحجر: ١٣].
- ﴿ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُمۡ سُنَنٞ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ١٣٧ ﴾ [آل عمران: ١٣٧].
- ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمۡ وَيَهۡدِيَكُمۡ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَيَتُوبَ عَلَيۡكُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٢٦ ﴾ [النساء: ٢٦].

وباستقراء كل هذه الآيات الكريمة يتضح لنا أن المراد بالسُّنَّة في سياق هذه الآيات:

- سُنَّة الأنبياء والمرسلين السابقين وشرائعهم وطرائقهم في الأوامر والنواهي، والتحليل والتحريم...
- سُنَّة الله في نصر عباده المؤمنين من الأنبياء والرسل والصالحين وتأييده لهم والتمكين لهم.

- سُنَّة الله في عقاب الأمم الكافرة وإهلاكها.

ومن ثم فإن الآيات السابقة كلها تتعلَّق بالمطيعين والعصاة؛ فسُنَّته في أهل طاعته من المؤمنين: إكرامهم، وسُنَّته في العصاة من الكافرين: إهانتهم وعقوبتهم.

والصيغ السابقة كلها جاءت في سياق واحد هو السياق الاجتماعي (سنن الاجتماع) المتعلق بأمر الله ونهيه ووعده ووعيده.

أما سُنن الله الكونية فقد عبَّر عنها القرآن الكريم بالآيات، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [البقرة: ١٦٤].

والسُّنن في القرآن الكريم لا تقتصر على السُّنن الاجتماعية - السُّنن التي تحكم سلوك الإنسان - فقط، رغم إيهام الاستقراء بذلك، بل هو اقتصار مقصود، حكمته التنبيه على السُّنن الاجتماعية ولفت الأنظار إليها، وكونها أيضا لازمة مثل السُّنن الكونية.

فمصطلح «السُّنن» ورد في القرآن الكريم في سياق الحديث عن السُّنن الاجتماعية، لكنها تبقى عامة تشمل سُنن الطبيعة (الكون) التي لم يسمها القرآن سُنَّة، لكنه أشار إليها طويلا ودعا إلى الكشف عنها عبر النظر في الكتاب المنظور (الكون)، والسير في الأرض الذي عادة ما يرافق إيراد لفظ «السُّنَّة» في القرآن الكريم أو معناها. كما في قوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾﴾ [فاطر: ٤٣، ٤٤]. وكقوله جَلَّ وَعَلَا في سياق حديثه عن سُنَّته

في الرسل وسُنَّته في المستهزئين بهم: ﴿وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنۡهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ١٠ قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ١١﴾ [الأنعام: ١٠، ١١].

فهكذا يربط دائما السياق القرآني بين سُنن الاجتماع البشري وسُنن الكون، لأنها تمثل وحدة متكاملة وإن اختلفت أشكالها؛ فهي صادرة من إله واحد الذي خلق فشرع وأمر.

■ **(ب) مرادفات «مصطلح السُّنَّة» في القرآن الكريم:**

إضافة إلى مصطلح «السُّنَّة» تحدَّث القرآن الكريم عن السُّنن الإلهية بمرادفات أخرى، **منها:**

● **كلمة وكلمات الله التامات:**

قال الله تعالى: ﴿وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدۡقٗا وَعَدۡلٗاۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦۚ﴾ [الأنعام: ١١٥].

والمعنى هنا: «إن الله قد أتم وعده ووعيده، فظهر الحق وانطمس الباطل، وتم وعده لأوليائه بنصرهم، ووعيده لأعدائه بخذلانهم»(١). فلا تغيير لكلماته وسُننه ولا تبديل لها، ولا يلحقها نقض ولا إبطال.

وقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡ﴾ [هود: ١١٠]، «أي ولولا ما تقدَّم من الله تعالى من كلمة حق في جعل الجزاء الفاصل بين الناس يوم القيامة فإنه يوم الفصل والجزاء، لعجّل لهم العذاب في الدنيا بإهلاك المبطلين، وتعذيب العصاة بسبب اختلافهم، ولقضي بينهم فيما اختلفوا فيه»(٢). فـ«كلمة» في الآية السابقة وغيرها هي سُنَّته تعالى الماضية في خلقه.

(١) تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، للهرري (٩/ ١٩).

(٢) التفسير المنير، للزحيلي (١١/ ١٣٦).

وقال تقدَّست كلماته: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الصافات: ١٧١ - ١٧٣]، وفي هذه الآيات يذكر الله تعالى عباده بكلماته التامات أي بسُننه في خليقته، وأن من سار على نهجها أدى به ذلك إلى السعادة، ومن حاد عنها ضل وكانت عاقبته الشقاء والبوار، وأن الحق لا بد أن ينتصر على الباطل مهما كانت له أول الأمر من صولة، كما وعد الله بذلك على ألسنة رسله[1].

- **عهد الله:**

قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [البقرة: ٢٧]. قال الشيخ محمد رشيد رضا في معنى الآية: «الخروج عن سُنن الله تعالى في خلقه التي هداهم إليها بالعقل والمشاعر، وعن هداية الدين بالنسبة إلى الذين أوتوه خاصة، فعهد الله تعالى هو ما أخذهم به بمنحهم ما يفهمون به هذه السُّنن المعهودة للناس بالنظر والاعتبار، والتجربة والاختبار، أو العقل والحواس المرشدة إليها وهي عامة، والحجة بها قائمة على كل من وُهِب نعمة العقل وبلغ سن الرشد سليم الحواس، ونقضه عبارة عن عدم استعمال تلك المواهب استعمالا صحيحا حتى كأنهم فقدوها وخرجوا من حكمها... هذا هو القسم الأول من العهد الإلهي وهو العام الشامل، والأساس للقسم الثاني المكمل الذي هو الدين، فالعهد فطري خَلقي، وديني شرعي... والله تعالى قد وثَّق العهد الفطري بجعل العقول بعد الرشد قابلة لإدراك السُّنن الإلهية في الخَلق، ووثَّق العهد الديني بما أيد به الأنبياء من الآيات البينات والأحكام المحكمات، وقد وثَّق العهد الأول بالعهد الثاني

(١) تفسير المراغي، للمراغي (٤/ ٧٥).

أيضا، فمن أنكر بعثة الرسل ولم يهتد بهديهم، فهو ناقض لعهد الله فاسق عن سُننه في تقويم البنية البشرية وإنمائها، وإبلاغ قواها وملكاتها حد الكمال الإنساني الممكن لها»[(١)].

- **الكتابة:**

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٥]. هو بيان سُنَّة الله المقررة في وراثة الأرض[(٢)].

- **الآيات والأمثال:**

قال الحق جل في علاه: ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [النور: ٣٤]. «لفت كتاب الله أنظار البشرية جمعاء، إلى أن الإنسان بالرغم مما رزقه الله من عقل لا يمكن له أن يستغني عن الاستنارة بنور الله في تدبير شؤونه الخاصة والعامة، وكما أن (الطبيعة) إنما تسير بانتظام وفقا للنواميس والسُّنن التي وضعها الله فيها وأودعها إياها، فلا بد للإنسان وهو كائن مخيَّر إذا أراد أن يسير في حياته سيرا متئدا موفقا سعيدا، من التزام الشرائع الإلهية التي هي بالنسبة إليه مثل النواميس الكونية بالنسبة للطبيعة المسخرة»[(٣)].

وقال تعالى: ﴿وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الزخرف: ٨]. أي وقد مضت سُنَّتنا في المُكذِّبين لرسلهم من قبلكم، ورأيتم ما حل بهم، فاحذروا أن يحل بكم مثل ما حل بهم[(٤)].

---

(١) تفسير المنار، لرضا (١/ ٢٠٣).

(٢) في ظلال القرآن، لسيد قطب (٤/ ٢٤٠٠).

(٣) التيسير في أحاديث التفسير، للناصري (٤/ ٢٧٢ - ٢٧٣).

(٤) تفسير المراغي، للمراغي (٢٥/ ٧٠).

- **شريعة:**

قال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الجاثية: ١٨]. «أي على طريقة وسُنَّة ومنهاج من أمر الدين الذي أمرنا به من قبلك من رسلنا ﴿فَٱتَّبِعْهَا﴾، أي تلك الشريعة الثابتة بالدلائل والحجج»[(١)].

- **وعد الله:**

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ [فاطر: ٥]. أي ما سَنَّه جَلَّ وَعَلَا من سُنن الثواب والعقاب؛ حيث وعد بالجزاء الأوفى والثواب العميم من صدق في الاتّباع، وبالعقاب الأليم لمن تنكَّب اتباع شرعه ودينه، وهي سُنَّته تعالى في الطائعين والعاصين.

وقال عز من قائل: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النور: ٥٥].

تلك سُنَّة الله في عباده المؤمنين من أمة رسول الله محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالاستخلاف في الأرض، والتمكين لدين الإسلام الذي ارتضاه لهم، وتحقيق الأمن بعد الخوف. «لكن هذا الوعد الإلهي الذي هو حق وصدق – وسنة إلهية مطردة – وعد مقيد لا مطلق، فهو مرتبط بأمرين اثنين: الأمر الأول الإيمان، والأمر الثاني العمل الصالح. والإيمان يستلزم الإيمان بالله وبوحدانيته، وهي تتضمن وحدة الكون عموما، ووحدة النوع الإنساني خصوصا، ووحدة الرسالة الإلهية بالأخص، والإيمان بالله يستلزم الإيمان بدينه وشريعته، والإيمان بعدله

(١) محاسن التأويل، للقاسمي (٨/ ٤٢٩).

وحكمته، والإيمان برقابته والخضوع لمراقبته، والإيمان ببعث ممارسة كل ما فيه خير وبر وصلاح، للفرد والجماعة، ومقاومة كل ما فيه شر وأذى وفساد بالنسبة لهما جميعا.»[1].

- **الميزان والقسط:**

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥]. إنها سُنَّة الله في الرسل والرسالات، وسُنَّته في إقامة العدل في الأرض والمساواة بين الناس: «فكل الرسالات جاءت لتُقِرّ في الأرض وفي حياة الناس ميزانا ثابتا ترجع إليه البشرية، لتقويم الأعمال والأحداث والأشياء والرجال، وتقيم عليه حياتها في مأمن من اضطراب الأهواء واختلاف الأمزجة، وتصادم المصالح والمنافع، ميزانا لا يحابي أحدا لأنه يزن بالحق الإلهي للجميع، ولا يحيف على أحد لأن الله رب الجميع.

هذا الميزان الذي أنزله الله في الرسالة هو الضمان الوحيد للبشرية من العواصف والزلازل والاضطرابات والخلخلة التي تحيق بها في معترك الأهواء ومضطرب العواطف، ومصطخب المنافسة وحب الذات، فلا بد من ميزان ثابت يثوب إليه البشر، فيجدون عنده الحق والعدل والنصفة بلا محاباة ﴿لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥] فبغير هذا الميزان الإلهي الثابت في منهج الله وشريعته، لا يهتدي الناس إلى العدل، وإن اهتدوا إليه لم يثبت في أيديهم ميزانه، وهي تضطرب في مهبّ الجهالات والأهواء!»[2].

وقال جل جلاله: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ﴾ [الأعراف: ٢٩]. «وإن السياق يقتضي

(١) التيسير في أحاديث التفسير، للناصري (٤/ ٢٨٨ - ٢٨٩).

(٢) في ظلال القرآن (٦/ ٣٤٩٤).

أن يكون ما أمر الله به نقيض الفحشاء، فالقسط هنا يفسر بأنه العدل، والعدل كل أمر في ذاته مستقيم تقره العقول ولا ينكره الذوق السليم، فالعدل يشمل العدل في الحكم، والعدل في الأقوال والأفعال، والاعتدال في كل ما يختار في الأمور، فلا يمتد إلى الحرمان، ولا إلى الاعتداء، بله الإفحاش»[1].

- **بصائر:**

قال جل ثناؤه: ﴿هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الجاثية: ٢٠]. بصائر للناس أي معالم للدين بمنزلة البصائر في القلوب.

أي هذا القرآن دلائل للناس فيما يحتاجون إليه من أمر الدين، وبينات وسنن تبصّرهم وجه الفلاح، وتعرّفهم سبيل الهدى، وهو هدى ورحمة لقوم يوقنون بصحته ويعملون بمقتضى سننه، وهو تنزيل من رب العالمين.

وإنما خص الموقنين بأنه لهم هدى ورحمة، لأنهم هم الذين ينتفعون بما فيه دون من كذّب به من أهل الكفر فإنه عليهم عمى[2].

- **المَثُلات:**

قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَٰتُ﴾ [الرعد: ٦]. و«(المَثُلات) جمع مَثُلة، وهي العقوبة العظيمة من الله التي تماثل الذنب وتجعل من نزلت به مضرب الأمثال بين الناس»[3]. تُذكِّر اللاحقين بمصائر أسلافهم من بني البشر وبسُنن الله تعالى في إهلاكهم.

ولذلك «فلم يكن ما حل بمن قبلهم من المصادفات، بل هو من السُّنن المطردة

(١) زهرة التفاسير، لأبي زهرة (٦/ ٢٨١٣).

(٢) تفسير المراغي، للمراغي (٢٥/ ١٥٢).

(٣) التيسير في أحاديث التفسير، للناصري (٣/ ٢٢٥).

بالمشيئة والاختيار، فلا هوادة فيه ولا ظلم ولا محاباة»[1].

- **الصراط المستقيم:**

قال تعالى: ﴿قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾﴾ [الحجر: ٤١] «هذا صراط، هذا ناموس، هذه سُنَّة. وهي السُّنَّة التي ارتضتها الإرادة قانونًا وحُكمًا في الهدى والضلال»[2].

- **القَدَر:**

قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب: ٣٨]. «أي وكان أمر الله الذي يُقدِّره كائنا لا محالة وواقعا لا محيد عنه، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن»[3]. فهو نافذ مفعول، لا يقف في وجهه شيء ولا أحد، وهو مُقدَّر بحكمة وخبرة ووزن، منظور فيه إلى الغاية التي يريدها الله منه، ويعلم ضرورتها وقدرها وزمانها ومكانها. وقد أمر الله رسوله أن يبطل تلك العادة ويمحو آثارها عمليا، ويقرر بنفسه السابقة الواقعية، ولم يكن بد من نفاذ أمر الله.

وسُنَّة الله هذه قد مضت في الذين خلوا من قبل من الرسل»[4].

- **القول:**

قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾﴾ [ق: ٢٩]. أي لا يغيّر الله تعالى قضاءه الذي قضاه، ولا يبدل سُنَّته التي مضت في خلقه، ولا يخلف وعده الذي وعد به عباده المؤمنين ووعيده الذي أوعد به الكفار.

---

(١) تفسير المنار، لرضا (٩/ ٢٧).

(٢) في ظلال القرآن، لقطب (٤/ ٢١٤٢).

(٣) تفسير المراغي، للمراغي (٢٢/ ١٦).

(٤) في ظلال القرآن، لقطب (٥/ ٢٨٧٠).

- **هُدى الله:**

قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ﴾ [الزمر: ٢٣]. وفي الآية الكريمة بيان لسُنَّته تعالى في الهدى والضلال: «وهذا تقرير لينابيع الهدى في هذه الأرض، فهدى الله للبشر يتمثل فيما جاءت به الرسل، وينحصر المستيقن منه، والذي يجب اتباعه، في هذا المصدر الواحد، الذي يقرر الله سبحانه أنه هو هدى الله، وأنه هو الذي يهدي إليه من يختار من عباده، ولو أن هؤلاء العباد المهديين حادوا عن توحيد الله وتوحيد المصدر الذي يستمدون منه هداه، وأشركوا بالله في الاعتقاد أو العبادة أو التلقي، فإن مصيرهم أن يحبط عنهم عملهم»[(١)].

- **الحُجَّة البالغة:**

قال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿قُلۡ فَلِلَّهِ ٱلۡحُجَّةُ ٱلۡبَٰلِغَةُۖ فَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ ١٤٩﴾ [الأنعام: ١٤٩]. «فإن لله وحده أعلى درجات العلم، وله الحُجّة البالغة على ما أراد من إحقاق الحق وإزهاق الباطل بما بيَّنه في هذه السورة وغيرها من الآيات البينات على أصول العقائد، وقواعد التشريع الموافقة للعقول الحكيمة والفطر السليمة، وسُننه في الاجتماع البشري، ولا يهتدي بهذه الآيات إلا المستعد للهداية المحب للحق الحريص على طلبه، الذي يستمع القول فيتبع أحسنه، دون من أعرض عن النظر فيها استكبارًا عنها، وحسدًا للمبلغ الذي جاء بها، وجمودًا على تقليد الآباء واتباع الرؤساء ﴿فَلَوۡ شَآءَ﴾ سُبۡحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هدايتكم جميعا إلى الحجة البالغة ﴿لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾ ولكن لم يشأ هداية الكل، بل هداية البعض.

أو المعنى: ولو شاء سُبۡحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يهديكم بغير هذه الطريق التي أقام أمر

(١) في ظلال القرآن، لقطب (٢/ ١١٤٤).

البشر عليها؛ وهي التعليم والإرشاد بطريق النظر والاستدلال؛ لهداكم أجمعين، فجعلكم تؤمنون بالفطرة كالملائكة المفطورين على الحق والخير جل شأنه. وفيه دليل على أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لم يشأ إيمان الكافر، ولو شاء هدايته لهداه»[1].

كما استعمل القرآن الكريم الألفاظ الكونية القدرية والدينية الآتية للدلالة على السُّنن الإلهية:

- **القضاء:** ﴿قَضَىٰٓ﴾ [البقرة: ١١٧] ﴿وَقُضِيَ﴾ [البقرة: ٢١٠] ﴿قَضَيْنَآ﴾ [القصص: ٤٤].
- **والحكم:** ﴿ٱحۡكُم﴾ [المائدة: ٤٩] ﴿حُكۡمُ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: ٤٣] ﴿يَحۡكُمُ﴾ [البقرة: ١١٣] ﴿حُكۡمِهِۦٓ﴾ [الكهف: ٢٦].
- **والإرادة:** ﴿يُرِيدُ﴾ [البقرة: ١٨٥] ﴿أَرَدۡنَآ﴾ [الإسراء: ١٦] ﴿نُّرِيدُ﴾ [الإسراء: ١٨].
- **والكتابة:** ﴿كُتِبَ﴾ [البقرة: ١٧٨] ﴿كِتَٰبَ﴾ [النساء: ٢٤] ﴿وَكَتَبۡنَا﴾ [المائدة: ٤٥].
- **والأمر:** ﴿أَمۡرُهُۥٓ﴾ [يس: ٨٢] ﴿أَمَرۡنَآ﴾ [القمر: ٥٠] ﴿أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ٤٧] ﴿أَمۡرًا﴾ [البقرة: ١١٧] ﴿أَمَرۡنَا﴾ [الإسراء: ١٦] ﴿يَأۡمُرُ﴾ [الأعراف: ٢٨] ﴿يَأۡمُرُكُمۡ﴾ [البقرة: ٦٧].
- **والإذن:** ﴿بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾ [فاطر: ٣٢] ﴿أَذِنَ﴾ [يونس: ٥٩] ﴿يَأۡذَنۡ﴾ [الشورى: ٢١].
- **والجعل:** ﴿جَعَلۡنَا﴾ [البقرة: ١٢٥] ﴿وَيَجۡعَلُ﴾ [يونس: ١٠٠] ﴿جَعَلَ﴾ [البقرة: ٢٢].
- **والكلمات:** ﴿كَلِمَتُنَا﴾ [الصافات: ١٧١] ﴿وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٤٠] ﴿كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ [الأنعام: ١١٥].
- **والبعث:** ﴿بَعَثۡنَا﴾ [الأعراف: ١٠٣] ﴿بَعَثَ﴾ [البقرة: ٢٤٧].
- **والإرسال:** ﴿أَرۡسَلۡنَا﴾ [البقرة: ١٥١] ﴿أَرۡسَلَ﴾ [التوبة: ٣٣].

(١) تفسير حدائق الروح والريحان، للهرري (٩/ ١٣٠).

- **والتحريم:** ﴿حَرَّمْنَا﴾ [النساء: ١٦٠] ﴿مُحَرَّمَةٌ﴾ [المائدة: ٢٦] ﴿حَرَامٌ﴾ [النحل: ١١٦] ﴿حُرِّمَتْ﴾ [النساء: ٢٣] ﴿حُرِّمَ﴾ [آل عمران: ٥٠] ﴿حَرَّمَ﴾ [البقرة: ١٧٣].
- **والإيتاء:** ﴿يُؤْتِي﴾ [البقرة: ٢٤٧] ﴿تُؤْتِي﴾ [آل عمران: ٢٦] ﴿وَءَاتَيْنَهُم﴾ [النساء: ٥٤] ﴿ءَانَيْكُمُ﴾ [الأنعام: ٤٠] ﴿ءَاتَيْنَكُم﴾ [البقرة: ٦٣]...

فما كان من هذه الألفاظ كونيّا؛ فهو متعلِّقٌ بربوبيته وخلقهِ تعالى (سُنن الكون)، وما كان منها دينيا؛ فهو متعلِّقٌ بإلهيته وشَرْعه (السُّنن الاجتماعية أو السُّنن الشرعية).

وعلاوة على ذلك، فإن السُّنن الإلهية تستنبط كذلك من دلالات آيات القرآن الكريم وفحواها، وذلك بترتيب نتيجة ما بناءً على شرط معين أو خبر معين، أو بذكرها في سياق قصة قرآنية معينة، أو في الحديث عن شأن من شؤون الكفار أو الأمم الغابرة، أو في سياق الحكم التكليفي الشرعي أو غير ذلك.

❁ ٣) في معنى السُّنن الإلهية في الثقافة الإسلامية:

إن سُنن الله تعالى جاءت تفكّ لغز الكون ومغزاه، وتكشف الغبش واللبس، وتحل المعضلات التي عجزت المدارس المادية الوضعية عن حلها؛ إنها بكل بساطة معايير ثابتة الجذور، أصلها ثابت وفرعها في السماء، تتحقق بإذن ربها وقدره ومشيئته، فهي بناء مرصوص، لا تزعزعه العواصف ولا القواصم، ولن تجد لسنة الله تبديلا ولا تحويلا ولا تغييرا.

■ **لنقف مليا عند بعض التعريفات المختلفة للسنن الإلهية:**

- **الإمام أبو بكر الجصاص (ت: ٣٧٠هـ)** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: سُنَّة الله هي: «الطريقة المأمور بلزومها واتباعها»[(١)].

(١) أحكام القرآن، للجصاص (٣/ ٤٨٧).

- **الإمام القرطبي (ت: ٦٧١هـ)** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «سُنَّة الله: يعني طريقة الله وعادته»[١].
- **شيخ الإسلام ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ):** «السُّنَّة هي العادة في الأشياء المتماثلة»[٢]. وقال أيضا: «هي العادة التي تتضمن أن يفعل في الثاني مثل ما فعل بنظيره الأول»[٣].
- **الإمام ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ)** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: سُنَّة الله: «عادته في خلقه»[٤].
- **الإمام ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «سُنَّته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: عادته المعلومة»[٥].
- **الشيخ محمد عبده (ت: ١٣٢٣هـ)** رَحِمَهُ ٱللَّهُ هي: «الطرائق الثابتة التي تجري عليها الشؤون وعلى حَسَبِهَا تكون الآثار، وهي التي تسمى شرائع أو نواميس ويعبر عنها قوم بالقوانين»[٦].
- **الشيخ سعيد النورسي (ت: ١٣٧٩هـ)** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «القوانين الإلهية الجارية في العالم التي تبين تنظيم الأفعال الإلهية ونظامها، وتُنظّم شؤون الكون، وهي تجلّ كلي للأمر الإلهي والإرادة الإلهية»[٧].
- **الشيخ عبد الكريم بن يونس الخطيب (توفي بعد ١٣٩٠هـ)** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «سُنَّة الله:

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١٦/ ٢٨٠).

(٢) جامع الرسائل، لابن تيمية (١/ ٥٥).

(٣) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (١٣/ ٢٠).

(٤) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٧/ ٣٤١).

(٥) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، لابن القيم (ص٤٠٨).

(٦) انظر: «الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية»، محمد عبده، مجلة المنار، ١٦ جمادى الآخرة ١٣٢٠هـ، المجلد الخامس.

(٧) ينظر: الملاحق (ص٦٨)، واللمعات (ص٥٩)، صيقل الإسلام (ص٤٦٣).

أي نظام الله، وتقدير الله، الذي أقام عليه هذا الوجود...» [١].

- **العلَّامة محمد المكي الناصري (ت: ١٤١٤هـ)** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: السُّنن الإلهية والنواميس الكونية هي: «التي يسير الكون بمقتضاها سيرًا محكمًا منظمًا» [٢].
- **الدكتور عبد الكريم زيدان (ت: ١٤٣٥هـ)** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هي الطريقة المتبعة في معاملة الله تعالى للبشر بناء على سلوكهم وأفعالهم وموقفهم من شرع الله وأنبيائه وما يترتب على ذلك من نتائج في الدنيا والآخرة» [٣].
- **الدكتور شريف الخطيب:** «السُّنن الإلهية منهج الله في تسيير الكون وعمارته وحكمه، ونواميسه في سير الحياة الإنسانية، ونواميسه في إثابة الطائعين وعقاب المخالفين طبق قضائه الأزلي على مقتضى حكمته وعدله» [٤].
- **الدكتور أحمد كنعان:** «هي مجموعة القوانين التي سنَّها الله عَزَّوَجَلَّ لهذا الوجود، وأخضع لها مخلوقاته جميعا على اختلاف أنواعها وتباين أجناسها» [٥].
- **الأستاذ محمد هيشور:** «القوانين التي يسير وفقها الوجود كله، وتتحرك بمقتضاها الحياة، وتحكم جزئياتها ومفرداتها فلا يشذ عنها مخلوق وما في الكون ذرة أو حركة إلا ولها قانون وسُنَّة» [٦].

---

(١) التفسير القرآني للقرآن، للخطيب (٩/ ١٣٥١).

(٢) التيسير في أحاديث التفسير، للناصري (٤/ ١٠٧).

(٣) السُّنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية، لزيدان (ص١٣).

(٤) السُّنن الإلهية في الحياة الإنسانية وأثر الإيمان بها في العقيدة والسلوك، شريف الخطيب (١/ ٥) بتصرف يسير.

(٥) أزمتنا الحضارية في ضوء سُنَّة الله في خلقه، لكنعان (ص٥٢).

(٦) سنن القرآن في قيام الحضارات وسقوطها، لهيشور (ص٢٧).

- **الدكتور بكار جاسم:** «السُّنَّة هي حكم الله المطرد في المكوَّنات.

ذلك أن القول بـ«حكم الله» تأكيد لمرجعية السُّنَّة فهي تجري بحكم الله وأمره، وليست بحكم الطبيعة أو المجتمع أو الأنفس، فالفعل الحقيقي هو «الله تعالى».

والقول «بالمُطّرد» أي: التتابع في جريان الحكم، والاطراد لا يعني الإلزام والجبر؛ بل مجرد التتابع، إذ لا مُلْزِم لحكم الله تعالى».

والقول «في المكونات» شامل للأنفس والمجتمع والطبيعة، فهذه كلها مكوَّنة بقوله: (كُنْ)»[1].

- **الدكتور عبد الكريم بكار عن السُّنن الإلهية بأنها:** «عبارة عن أحكام علوية ماضية مستمرة اقتضتها مشيئة الله تعالى وحكمته البالغة»[2].

- **الدكتور رمضان خميس هو:** «القانون الضابط المهيمن، والفعل النافذ الحاكم الذي يجري باطراد وثبات وعموم وشمول، مرتبا على سلوك البشر»[3].

وكل التعريفات السابقة متقاربة، تجمع على أن السُّنن الإلهية هي: طريقته وحكمته جَلَّوَعَلَا وتدبيره لهذا الوجود وما فيه ومن فيه.

❁ أما التعريف المختار للسنن الإلهية فهو:

السُّنن الإلهية هي إرادة الله الكونية، وأمره الشرعي، وفعله المطلق، وكلماته التامات، ووعوده الحقة، وحكمه في آفاق الكون وتسلسل التاريخ، الجارية بالعباد من المعاش إلى المعاد.

---

(١) سنن الطبيعة والمجتمع في القرآن الكريم دراسة تأصيلية تطبيقية، لبكار جاسم (ص٢٩).

(٢) كيف نفهم الأشياء من حولنا، لعبد الكريم بكار (ص١٠).

(٣) مفهوم السُّنن الربانية، لرمضان خميس زكي (ص٣١).

المطلب الثاني

في تعريف السُّنن الإلهية الكونية والاجتماعية

إنه رغم الكم الهائل من السُّنن التي يزخر بها الكون، إلا أننا عند إمعان النظر نجدها تنضوي تحت نوعين أساسين من السنن:

الأول: يشمل الجانب المادي من هذا الكون، وهو – بلا شك – الأوسع نطاقا، ويُعرف بسنن الكون أو الطبيعة أو سُنن الآفاق، وتعني نواميس الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في تسيير الكون وعمارته، وهي متعلقة بربوبيته وخَلقهِ جَلَّ وَعَلَا.

الثاني: خاص بالإنسان، وهي السُّنن والقواعد التي تحكم الإنسان – فردا وجماعة وأمة – في علاقته بهذا الكون وخالقه، وتسمى سُنن الاجتماع، أو سُنن الأنفس، أو السُّنن الشرعية أو الأمرية، وهذا النوع من السُّنن متعلق بإلهيته تَبَارَكَ وَتَعَالَى وشرعه.

ودليل ذلك قوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤]، فالخلق: أفعاله وما قضاه وقدره، والأمرُ: دينه وما شرعه لخلقه.

فإلى بيان مفهوم سُنن الكون وسنن الاجتماع.

١) في مفهوم سُنن الكون:

قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾ [فصلت: ٥٣].

﴿فِى ٱلْءَافَاقِ﴾ ما أخبر الله تعالى به من آياته في السماوات وَالْأَرضين، وذلك من رفع السَّمَاء، وَخلق الْكَوَاكِب، ودوران الفلك، وإضاءة الشَّمْس وَالْقَمَر، وما أشبه ذلك، وكذلك بسط الأَرْض، وَنصب الْجبَال، وتفجير الْأَنْهَار، وغرس

الْأَشْجَار، إِلَى مَا لَا يُحْصى»[1].

قال الرازي: «إِنَّ الْمُرَادَ بِآيَاتِ الْآفَاقِ: الْآيَاتُ الْفَلَكِيَّةُ وَالْكَوْكَبِيَّةُ، وَآيَاتُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَآيَاتُ الْأَضْوَاءِ وَالْإِضْلَالِ وَالظُّلُمَاتِ، وَآيَاتُ عَالَمِ الْعَنَاصِرِ الْأَرْبَعَةِ[2]، وَآيَاتُ الْمَوَالِيدِ الثَّلَاثَةِ[3]»[4]. أي كل الآيات الموجودة في العالم الأعلى والأسفل.

فالآية الكريمة تستوعب المستقبل كله، مستقبل مَنْ عاصر نزول القرآن، ومستقبل مَنْ يأتي بعد إلى قيام الساعة، بل مستقبل مَنْ تقوم الساعة عليه.

فالقرآن الكريم لم ينزله الله ليُفرغ كل أسراره وكل معجزاته في قَرْن واحد، ولا في أمة واحدة، ثم يستقبل القرون والأمم الأخرى دون عطاء، بل نُزل ليظل جديدًا تأخذ منه كل الأمم وكل العصور، وتقف على أسراره ومعجزاته وآياته في الكون والحياة[5].

وخلاصة القول: سُنن الكون هي: **النواميس الحاكمة في الطبيعة وفي العالم المادي وفي نظام الكون وتركيبه وحركته ومجرياته، وتسمى الآيات الكونية، وآيات الآفاق، وسنن الطبيعة. وتسمى بلسان العصر علوم الفلك والفضاء والأرض والبحار والأحياء.**

وهذه السُّنن تخضع لها جميع الكائنات الحية في وجودها المادي وجميع الحوادث المادية، ويخضع لها كيان الإنسان المادي وما يطرأ عليه مثل نموه

---

(١) تفسير القرآن، للسمعاني (٥/ ٦١). تفسير النكت والعيون، للماوردي (٥/ ١٨٩).

(٢) يقصد بالعناصر الأربعة: الماء والأرض والنار والهواء.

(٣) يقصد بالمواليد الثلاثة: المعادن والنبات والحيوان.

(٤) تفسير مفاتيح الغيب، للرازي (٢٧/ ٥٧٣).

(٥) تفسير الشعراوي (١٩/ ١١٥٦٩).

وحركة أعضائه ومرضه وهرمه ولوازم بقائه حيا ونحو ذلك[1].

وهذا النوع من السُّنن لا خروج لأحد عنها؛ لأنها خاضعة للقدر الكوني ومتعلقة بالخلق والمشيئة الكونية؛ فهي تقع حتما، لكنها قابلة للخرق؛ حيث ينقضها الله تعالى إذا شاء بما شاء؛ فتمضي على غير ما اعتاده الناس، وهو ما يسمى بـ«السُّنن الخارقة»؛ كما وقع في قصة إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾﴾ [الأنبياء: ٦٩]، وكما وقع لعصا كليم الله موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لما تحولت – بإذن الله – إلى حية تسعى، ولما انشقّ القمر لنبينا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وغير ذلك.

وقد وجَّه القرآن الكريم عناية كبيرة لسُنن الله الكونية، وحثَّ الأمة على النظر في الكون والسعي لاكتشافها وتسخيرها؛ قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾﴾ [الجاثية: ١٣]. إنها دعوة إلى التفكر في آيات الله الكونية لاكتشافها من أجل الانتفاع بها وتسخيرها، للنهوض بأمانة الاستخلاف، وعمارة الأرض، وترقية الحياة، وتحقيق الشهود الحضاري...

وهكذا نجد سُنن الكون سخرت للبشرية جمعاء، والإسلام أرشد إليها، «وفصل ما تمَسّ إليه الحاجة، وهدانا إلى أن لكل عمل أثرًا لا يتعداه، وأن الأسباب مربوطة بمسبباتها، وكل سبب يفضي إلى غاية، والأمور الدنيوية لا يمنعها الله عن طلابها إذا أتوا البيوت من أبوابها، والتمسوا الرغائب من طرقها وأسبابها، سواء كانوا مؤمنين أم كافرين، وإنما الإيمان شرط للمثوبة في العقبى وكمال السعادة في الدنيا»[2] ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾﴾ [الإسراء: ٢٠].

---

(١) السُّنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية، لعبد الكريم زيدان (ص٧).

(٢) ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾﴾، محمد رشيد رضا، فاتحة مجلة المنار، المجلد (١)، العدد ٣١، الصادر في ٢ جمادى الآخرة سُنَّة ١٣١٦ (ص٥٩١).

والجدير بالذكر هنا أن سُنن الكون سخَّرها الله تعالى للإنسان، ليقيم حياته ويبني عمرانه ويحقق ما فيه صلاحه في الدنيا والآخرة، فهي تحت سلطة العقل والتجربة والخبرة مباشرة، حيث يمكن للإنسان أن يكتشف الكثير من قوانينها عبر الملاحظة والتجربة، ومن خلال الاستفادة من التجارب البشرية السابقة وخبراتها، ويمتلك القدرة على استثمار معطياتها المتنوعة في تلبية حاجات خلافته في الأرض ومواجهة التحديات التي تعترضها. قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [إبراهيم: ٣٢، ٣٣]، وقال عز من قائل: ﴿ أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾ [لقمان: ٢٠].

لقد أظهر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في القرآن الكريم الكثير من سُنن الكون وأخفى الكثير منها كذلك؛ ليكتشف منها الإنسان في كل زمان ما يناسبه، وما يكون دليلًا جديدًا من الأدلة التي تؤكد صدق ما جاءت به الرسالة المحمدية الخاتمة. قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [الروم: ٤٨]، وقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [يس: ٣٧ - ٤٠].

فكل هذه الآيات الكريمة وغيرها تنبه على سُنن الله المبثوثة في الكون، وتلفت أنظار البشرية إلى خالقها؛ حتى لا تنصرف عن ربها، وتنحرف عن ناموس الوجود .

٢) في مفهوم سُنن الاجتماع البشري:

إن سُنن الاجتماع البشري (أو السُّنن الشرعية) متعلقة بشرع الله تعالى وأمره ونهيه ووعده ووعيده، وهي خاصة بالإنسان، إذ لا تمرد للطبيعة على فاطرها جَلَّ وَعَلَا. وهذا النوع من السُّنن يملك الإنسان معه حرية الاختيار ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩]؛ لكن عليه أن يتحمل تبعات اختياره ونتائجه: إكراما أو عقوبة، ونعيما مقيما أو عذابا مهينا.

وقد عرَّفها الشيخ محمد الغزالي(ت: ١٤١٦هـ) بقوله: «هي تلك القوانين المطردة والثابتة التي أودعها الله في الحياة البشرية، والتي تُشكِّل إلى حدّ كبير ميكانيكية الحركة الاجتماعية وتعين على فهمها»(١).

وعرَّفها الدكتور عماد الدين خليل: «إنها المبادئ الأساس التي تحكم حركة التاريخ البشري في ماضيه وحاضره ومستقبله»(٢).

ومجمل القول: السُّنن الاجتماعية هي: النواميس المتحكمة في الإنسان - باعتباره فردًا وجماعةً وأُمّةً - وفي فكره وسلوكه وحركته في المجتمع وفاعليته في التاريخ، أو هي مجموعة من القواعد والضوابط والمبادئ والأحكام التي رسمها الله تعالى من أجل إصلاح حال الأفراد والجماعات والأمم في شؤونهم الدنيوية والأخروية، والارتقاء بالنفس البشرية إلى المراتب العلوية، وهي سُنن لا تتغيَر ولا تتبدّل ولا تتحوّل.

والقرآن الكريم أَوْلى اهتمامًا كبيرًا لفقه السُّنن الاجتماعية، من خلال حديثه عن مجموعة من السُّنن العامة، وتوجيه الاهتمام للعناية الشديدة بها، من خلال

(١) كيف نتعامل مع القرآن، لمحمد الغزالي (ص٤٩).

(٢) التفسير الإسلامي للتاريخ، لعماد الدين خليل (ص٩٧).

الدراسة السننية للتاريخ الاجتماعي والحضاري للمجتمعات البشرية عامة، قال الله تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾﴾ [آل عمران: ١٣٧]. فالقرآن الكريم «يربط ماضي البشرية بحاضرها، وحاضرها بماضيها، فيشير من خلال ذلك كله إلى مستقبلها.

وهؤلاء العرب الذين وجه إليهم القول أول مرة لم تكن حياتهم، ولم تكن معارفهم، ولم تكن تجاربهم - قبل الإسلام - لتسمح لهم بمثل هذه النظرة الشاملة، لولا هذا الإسلام - وكتابه القرآن - الذي أنشأهم به الله نشأة أخرى، وخلق به منهم أمة تقود الدنيا»[(١)].

ولذلك فإبراز السُّنن الاجتماعية المبثوثة في القرآن الكريم؛ تُعَرِّفنا حقيقة أنفسنا وسلوكنا وعلاقاتنا، وعلى حقيقة المجتمعات الإنسانية، كما تُمكِّننا من فهم طبيعة المجتمع المعاصر وحاجاته وتحدياته والتحكم فيه من ناحية أخرى، وفهم شروط تحقيق الفعالية في حركة الخلافة والعمران البشري.

وعليه؛ فإن السُّنن الإلهية الكونية هي أشبه ما تكون بقضبان الحديد التي يسير عليها القطار، وتحكم وجهته بصرامة، حيث لا يستطيع أن يعدل عنها، أو يخرج عليها، فإذا حاد عنها تعرض للخطر، بينما السُّنن الاجتماعية التي تحكم قضايا الإنسان هي أقرب لحركة السيارة التي تحدد الاتجاه والهدف، ويمتلك السائق معها حرية الحركة أكثر في الوصول إلى غايته، وكل محكوم باتجاه، وإن اختلفت طبيعة حركته ومداها[(٢)].

---

(١) في ظلال القرآن، لسيد قطب (١/ ٤٤٩).

(٢) مراجعات الفكر والدعوة والحركة، لعمر عبيد حسنة (ص٩). علم السُّنن الإلهية من الوعي النظري إلى التأسيس العلمي، لكهوس (ص٢٩).

■ **خلاصة القول:**

إن سُنن الكون وسنن الاجتماع تمثل إعجازا قرآنيا خالدا، وناموسا ثابتًا ومطردا، يمثل القواعد الأساس للحياة الإنسانية المستقيمة.

وهي بنوعيها تخرج من مشكاة واحدة؛ ولا يمكن الفصل بينهما، وقد قرن الله في آيات كثيرة من كتابه العزيز بينهما، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ ۞ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٦١﴾ ﴾ [الحج: ٦٠، ٦١].

قال الشيخ الطاهر ابن عاشور (المتوفى: ١٣٩٣هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند تفسيره لهذه الآية: «أي لا عجب في النصر الموعود به المسلمون على الكافرين مع قلة المسلمين؛ فإن القادر على تغليب النهار على الليل حينا بعد أن كان أمرهما على العكس حينا آخر، قادر على تغليب الضعيف على القوي، فصار حاصل المعنى: ذلك بأن الله قادر على نصرهم.

والجمع بين ذكر إيلاج الليل في النهار وإيلاج النهار في الليل للإيماء إلى تقلب أحوال الزمان فقد يصير المغلوب غالبا، ويصير ذلك الغالب مغلوبا»[(١)].

وهكذا تربط الكثير من الآيات القرآنية بين السُّنن الإلهية التي يخضع لها نظام الكون، والسُّنن الإلهية التي تحكم سلوك البشر، وليس ذلك عبثا ولا صدفة، ولكن لحكم جليلة، وأسرار بليغة، ولعل من ذلك جعل الإنسان ينصرف من الإعراض والاستكبار عن ذكر ربه إلى الاهتداء بما جاءت به رسالة الإسلام من تشريعات وما دلت عليه من حقائق علمية

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور (١٧/ ٣١٥).

المبحث الثاني

﴿ حجية السُّنن الإلهية وأثر مراعاتها والعمل بمقتضاها ﴾

المطلب الأول

﴿ حجية السُّنن الإلهية ﴾

يعتبر القرآن المجيد الآية الأولى لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ودليله الأعظم على نبوته ورسالته للعالمين، وهو يحمل الدليل من ذاته على أنه كلام الله تعالى، أوحى به لنبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإعجازه يثبت مصدره القرآني، وأنه كلام الله تعالى(١).

و«**من المعلوم ضرورة في الشرع أن القرآن كله قطعي الثبوت**، حيث نقل بالتواتر المستفيض جيلا عن جيل من حيث التحمل والأداء، فضلا عن أنه جُمع في عصر أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الجمع الأول ثم استكمل جمعه على ما هو عليه الآن في عصر الخليفة الثالث عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ»(٢). كتابا ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾﴾ [فصلت: ٤١].

وحيث إن السُّنن الإلهية مذكورة في القرآن الكريم ومستمدة ومستنبطة من آياته، فلا غرو أن تكون قطعية الثبوت محفوظة المتن كشأن سائر القرآن، وقطعية الدلالة والاعتبار(٣).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «أمّا الاستدلال بسُنَّته وعادته، فهو أيضًا طريق برهاني ظاهرٌ لجميع الخلق، وهم متفقون عليه؛ من يقول بالحكمة؛

(١) إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني، لصلاح الخالدي (ص٥).
(٢) السُّنن الإلهية في الأمم والافراد في القرآن الكريم، لمجدي عاشور (ص٤٩).
(٣) المرجع نفسه (ص٤٩ - ٥٠).

ومن يقول بمجرد المشيئة؛ فإنّه قد علم عادته سبحانه في طلوع الشمس والقمر والكواكب، والشهور والأعوام، وعادته في خلق الإنسان وغيره من المخلوقات، وعادته فيما عرفه الناس من المطاعم، والمشارب، والأغذية، والأدوية، ولغات الأمم: كالعلم بنحو كلام العرب وتصريفه، والعلم بالطب وغير ذلك.

كذلك سُنَّته تعالى في الأنبياء الصادقين وأتباعهم، وفيمن كذّبهم، أو كذب عليهم؛ فأولئك ينصرهم ويعزّهم، ويجعل لهم العاقبة المحمودة، والآخرون يهلكهم ويذلهم، ويجعل لهم العاقبة المذمومة؛ كما فعل بقوم نوح، وعاد، وثمود، وقوم لوط، وأصحاب مدين، وفرعون وقومه؛ وكما فعل بمن كذّب محمدًا؛ من قومه قريش، ومن سائر العرب، وسائر الأمم غير العرب؛ وكما فعل بمن نصر أنبياءه وأتباعهم»[(١)].

وإنما تكون العبرة بالقياس والتمثيل، فإذا عرفت قصص الأنبياء ومن اتبعهم ومن كذَّبهم، وأن متبعيهم كان لهم النجاة والعاقبة والنصر والسعادة، ولمكذبيهم الهلاك والبوار جعل الأمر في المستقبل مثلما كان في الماضي، فعلم أن من صدَّقهم كان سعيدا، ومن كذَّبهم كان شقيا، وهذه سُنَّة الله تعالى[(٢)].

ولو لم تكن السُّنن الإلهية قطعية الدلالة لما أمر الله تعالى بالسير في الأرض والنظر فيمن جرت عليهم سُنَّته، في قوله تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾﴾ [آل عمران: ١٣٧، ١٣٨].

ومن هنا فهم العقلاء هذه الحجية للسن الإلهية، فاستدلوا بها وأقاموا من

(١) النبوات، لابن تيمية (٢/ ٩٥٨ - ٩٦٠).

(٢) مفهوم السُّنن الإلهية من الفهم إلى التسخير، لرمضان خميس (ص٩٣ - ٩٤).

خلالها الحجة على أقوامهم[1].

وهكذا يتبيَّن لنا أن السُّنن الإلهية قطعية الدلالة على مرادها؛ لأنها لو لم تكن كذلك لما كانت مطردة سارية على الجميع لا تتبدل ولا تتحول ولا تحابي أحدا.

أضف إلى ذلك أن الآيات المتعلقة بالسُّنن الإلهية لم يدخلها النسخ الذي يشمله معنى التبديل، لكونها من قبيل الأفعال والأخبار، وآيات القرآن الكريم الآيات تقرر أن سُنن الله تعالى لا يعتريها التبديل ولا التغيير.

ومن ثم يجب علينا «أن نجعل هذه السُّنن علما من العلوم المدونة لنستديم ما فيها من الهداية والموعظة على أكمل وجه، فيجب على الأمة في مجموعها أن يكون فيها قوم يبيِّنون لها سُنن الله في خلقه كما فعلوا في غير هذا العلم من العلوم والفنون التي أرشد إليها القرآن بالإجمال، وقد بيَّنها العلماء بالتفصيل عملا بإرشاده، كالتوحيد والأصول والفقه.

والعلم بسنن الله تعالى من أهم العلوم وأنفعها، والقرآن سجل عليه في مواضع كثيرة، وقد دلنا على مأخذه من أحوال الأمم؛ إذ أمرنا أن نسير في الأرض لأجل اجتلائها ومعرفة حقيقتها، ولا يحتج علينا بعدم تدوين الصحابة لها؛ فإن الصحابة لم يدونوا غير هذا العلم من العلوم الشرعية التي وُضِعت لها الأصول والقواعد، وفُرِّعت منها الفروع والمسائل، وإنني لا أشك في كون الصحابة كانوا مهتدين بهذه السُّنن وعالمين بمراد الله من ذكرها. يعني أنهم بما لهم من معرفة أحوال القبائل العربية والشعوب القريبة منهم ومن التجارب والأخبار في الحرب وغيرها، وبما منحوا من الذكاء والحذق وقوة الاستنباط كانوا يفهمون المراد من سُنن الله تعالى، ويهتدون بها في حروبهم وفتوحاتهم وسياستهم للأمم»[2].

---

(١) المرجع نفسه (ص٩١ - ٩٢).

(٢) تفسير المنار، لمحمد رضا (٤/ ١١٤).

وعلاوة على ذلك فإن الله جَلَّوَعَلَا لما جعل الإنسان خليفة في الأرض، لم يتركه سدى، ولم يدعه هملا، بل شرع له شرائع وسنَّ له نواميس، وفصَّل لهم كل شيء تفصيلا، وبيَّن له ما نزل إليه، وما جاء به نبيه الكريم صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وأمره بالتزامها وعدم الحياد عنها، ونبهه إلى مغبة الحياد عن سُنن الحق.

المطلب الثاني

آثار مراعاة السُّنن الإلهية والعمل بمقتضاها

إن الحديث عن السُّنن الإلهية الكونية والاجتماعية يعد منارة للأمة المسلمة اليوم في ظلمات هذا العصر بما فيه من محن وفتن ومعضلات... ذلك بأن الأمة التي تستنير بهدي السُّنن وتستضيء بنورها لن تضل أبدا عن الطريق المستقيم، ولن ينطفئ نورها.

وتتجلى أهمية معرفة السُّنن الإلهية في كونها من الواجبات الدينية والضرورات الشرعية؛ لأن معرفتها تمكننا من إدراك الكثير من الأحكام التكليفية وعللها، وما انبنت عليه الشريعة الغراء من العدل المحض.

يقول عبد الكريم زيدان رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن معرفة سُنن الله جزء من معرفة الدين أو لمعرفة جزء من الدين، وأن هذه المعرفة ضرورية، ومن الواجبات الدينية؛ لأنها تبصرنا بكيفية السلوك الصحيح في الحياة حتى لا نقع في الخطأ والعثار والغرور والأماني الكاذبة، وبذلك ننجو مما حذرنا الله منه، ونظفر بما وعد الله عباده المؤمنين المتقين»[1].

كما تتجلى أهميتها في أنها تبعث الطمأنينة والوضوح في نفوس أتباع هذا الدين الإلهي، فضلا عن تقديم رؤية شمولية لتاريخ البشرية من خلال تقديم تفسير صحيح له، وبيان أسباب الرقي والاندثار فيه، حتى يكون الإنسان قادرًا على الاعتبار من التاريخ، والاستفادة من التجارب الناجحة فيه، سعيا للوقاية الحضارية وتحقيق الشهود الحضاري.

---

(١) السُّنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية، لزيدان (ص١٧).

وعليه، فإن مستقبل العمران البشري الذي ترنو إليه الأمة المسلمة وتشرئب له الأعناق لن تصل إليه الأمة إلا بتسخير هذه السُّنن الإلهية التي جاء بها القرآن الكريم والسنة النبوية والعمل بمقتضاها.. وإن أول طريق يمر عبره هذا التسخير هو الكشف عن السُّنن الإلهية التي نبه عليها القرآن الكريم، وحث على إدراكها ووعيها والإحاطة بها والتوسع في معرفتها بتفاصيلها وجزئياتها، والأخذ بها، والسير على سكَّتها.

ذلك بأن فقه السُّنن الإلهية «لا يشكل لنا وقاية من الأزمات والإصابات التي يمكن أن تلحق بنا بسبب جهلها أو تجاهلها ومحاولة تجاوزها وحسب، وإنما فقه السُّنن يشكل لنا دليلا للتعامل مع الأزمات وكيفية إدارتها بعد وقوعها، وتجنبها قبل وقوعها»[1].

ومن هذا المنطلق فإن تعرُّف السُّنن الإلهية هو السبيل الأمثل لفهم الظواهر الاجتماعية وحركة التاريخ وفاعلية الإنسان فيه، وبقاء الأمم واندثارها، وهو المهيع الصحيح لفهم الحياة المعاصرة، ووضع الخطط الناجحة للخروج من الركود والعجز الحضاري وتصحيح المسار والرقي إلى مكان الصدارة والريادة، وتحقيق الدورة الإنجازية الكبرى والشهود الحضاري.

إن فقه السُّنن الإلهية والتعامل معه بوعي وعلى بصيرة من شأنه أن يخلص الأمة من أغلال الذرائعية، وقيود الاتكال، وآصار الفكر الإرجائي، وأن يسددها على سكة الصواب ويبعث فيها روح الحيوية والانبعاث من جديد.

يقول الأستاذ إبراهيم بن علي الوزير: «إن في تاريخ كل أمة منعطفا يتاح فيه للأمة تغيير مجرى حياتها بتأمل السُّنن وفهمها ودراستها والاستفادة منها

(١) المنهج السنني، لعمر عبيد حسنة (ص٧٤).

للخروج من وهنها وضعفها وضياعها بين الأمم... إلى مكان عزيز منيع ... فإن لم تستفد من هذا المنعطف التاريخي، فإن قوارع الآيات وعجائب النكالات تنزل بها متدفقة عليها من كل جانب، آخذة عليها كل سبيل حتى تنقرض وتزول أو يستقيم ما بنفسها فيصلح أمرها» [١].

ولقد دعا بديع الزمان النورسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ المسلمين دعوةً صريحة إلى تسخير ما بث الله في هذا الوجود من سُنن؛ من أجل تحقيقِ نهضة حضارية رائدةٍ وانبعاث إسلامي جديد، يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ مبينا أثر السُّنن في نهوض الأمم وسقوطها: «فكما أن هناك طاعة وعصيانا تجاه الأوامر الشرعية المعروفة، كذلك هناك طاعة وعصيان تجاه الأوامر التكوينية. وغالبا ما يرى الأول مطيع الشريعة والعاصي لها جزاءه وثوابه في الدار الآخرة، والثاني مطيع السُّنن الكونية والعاصي لها غالبا ما ينال عقابه وثوابه في الدار الدنيا.

فكما أن ثواب الصبر النصر، وجزاء البطالة التقاعس والذل والتّسَفُّل، كذلك ثواب السعي الغنى، وثواب الثبات التغلبُ»[٢].

ويضيف في موضع آخر: «إن من يشقُّ طريقا في الحياة الاجتماعية ويؤسس حركةً، لا يستثمر مساعيه، ولن يكون النجاح حليفه في أمور الخير والرقي، ما لم تكن الحركة منسجمة مع القوانين الفطرية التي تحكم الكون، بل تكون جميع أعماله في سبيل التخريب والشر»[٣]. ويقول أيضا مخاطبا ساسة الأمة ورعاتها: «يا أولياء الأمور! إن أردتم التوفيق فاطلبوه في موافقة أعمالكم للسنن الإلهية في الكون – أي قوانين الله – وإلا فلن تحصدوا إلا الخذلان والإخفاق»[٤].

(١) دراسة في السُّنن الإلهية والمسلم المعاصر، لابن علي الوزير (ص١١).
(٢) الكلمات، للنورسي (ص٨٧٢).
(٣) اللمعات، للنورسي (ص٢٥٧).
(٤) صيقل الإسلام، للنورسي (ص٥٣١).

ومن ثم فإن أي محاولة للتغيير الاجتماعي تتنكب سُنن الله تعالى فمآلها الفشل الذريع.

هكذا يجب الربط بين حركة الإنسان نحو التغيير والنهضة الاجتماعية، وسنن الله تعالى في الوجود، هذا الربط الذي من شأنه أن يعمِّق النظر ويرسم المنهاج المستقيم في اكتشاف ما في الكون من سُنن ثابتة ومطردة، وربطها بقوانين التشريع الاجتماعي، لتحقيق النهضة الشاملة لحضارة الإسلام في ظل الواقعِ المعاصر.

وبناء على ما تقدم، فإن الوعي بالسُّنن الإلهية وتسخيرها والسير على هداها هو المدخل الرئيس والمنطلق الصحيح لنهضة الأمة وسياسة الرعية.

ومن ثم فإن على دعاة الإصلاح والتغيير الإحاطة بالسُّنن الإلهية في الإصلاح والتغيير والنهوض قبل العمل والإنجاز، قياسا على سُنن الله التي تحكم حركة الكون بمفرداته كلِّها، وتنظِّمها في ميزان متراصٍّ.

فبدون معرفة بسنن الاجتماع، وسنن الكون، لا يمكن لحركات التغيير الاجتماعي والنهوض الحضاري أن تستأنف عملا إصلاحيا سديدا، بل ستقذف جهودها إلى صحراء العدم.

فلا ريب إذن أن يؤدي عدم التعامل مع سُنن الله بشكل صحيح، وإغفالها وعدم إدراك كنهها، والتقصير المعرفي بها إلى استنزاف الكثير من طاقات المسلمين ومساعيهم، وتعثر خطواتهم في طريق البناء والرقي والصيرورة الاستخلافية والشهود الحضاري.

ولذلك يعتبر الزيغان عن منهاج السُّنن الإلهية، والعدول عن كشف ما تتضمنه من عبر وعظات ونواميس مطردة تأخذ بيد الأمم إلى بر الأمان وشاطئ النجاة، وتنأى بها عن السقوط في المهاوي والزلات، وتوجيه البحوث لدراستها واستنباطها والاستفادة من الوقوف على معطياتها؛ مما أورثنا التأخر عن الركب

الذي نعيشه ونعاني منه.

فالسُّنن الإلهية هي التي تسير حركة التاريخ وتفسر أحداثه، وفق مسالك مقننة لا سبيل للخروج عنها. والمتدبر لآيات القرآن الكريم يجده حافلا بالحديث عن هذه السنن، وقد بينتها السُّنَّة المُطهَّرة الصحيحة في مواطن كثيرة.

فواجب على الإنسان المسلم «أن يفقه سُنن الله فقها شاملا واعيا يهدي إلى سبيل الرشاد، ينفع الأمة ويكشف الغمة، وعلى ضوئها وفي نوره يبني مجتمعه العمراني الإسلامي ويستنبط منهاجه»[(١)].

يقول سيد قطب رَحِمَهُ ٱللَّهُ داعيا إلى مراعاة السُّنن الإلهية وإعمالها: «فالنواميس التي تحكم الحياة جارية لا تتخلف، والأمور لا تمضي جزافًا، إنما هي تتبع هذه النواميس، فإذا هم درسوها وأدركوا مغازيها، تكشفت لهم الحكمة من وراء الأحداث، وتبينت لهم الأهداف من وراء الوقائع، واطمأنوا إلى ثبات النظام الذي تتبعه الأحداث، وإلى وجود الحكمة الكامنة وراء هذا النظام، واستشرفوا خط السير على ضوء ما كان في ماضي الطريق، ولم يعتمدوا على مجرد كونهم مسلمين لينالوا النصر والتمكين، بدون الأخذ بأسباب النصر، وفي أولها طاعة الله وطاعة الرسول»[(٢)].

ويقول الشيخ محمد عبده رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن نظام الجمعية البشرية وما يحدث فيها هو نظام واحد لا يتغير ولا يتبدل، وعلى من يطلب السعادة في هذا الاجتماع، أن ينظر في أصول هذا النظام حتى يرد إليها أعماله، ويبني عليها سيرته، وما يأخذ به نفسه، فإن غفل عن ذلك غافل فلا ينتظرن إلا الشقاء، وإن ارتفع إلى الصالحين نسبه، أو اتصل بالمقربين سببه، فمهما بحث الناظر وفكّر، وكشف وقرَّر، وأتى لنا بأحكام تلك السنن، فهو يجري مع طبيعة الدين، وطبيعة الدين لا تتجافى عنه،

(١) سنة الله في جهاد رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لرشيد كهوس (ص٨).

(٢) في ظلال القرآن، لسيد قطب (١/ ٤٥٠).

ولا تنفر منه، فَلِمَ لا يعظم تسامحها معه»[1].

إذن، فالكون تحكمه سُنن الله تعالى التي يرتبط رقي الإنسان بمعرفتها وتسخيرها، فهو لا يستطيع أن يمارس حريته إلا في نطاق ناموس الوجود المحيط به، كما أنه لا يستطيع أن يغير سننه وقوانينه، وإنما يستطيع أن يستثمرها ويسخرها ويستفيد منها وحسب، والسير في الكون على نظام وفقًا لسنن معينة في تقديراتها الكمية والكيفية، هو القدَر، أو هو من القدَر.

فالله تعالى هو جعل للحياة والكون نظاما وسُننا، وهو مسخِّر الأسباب، والوصول إلى هذه الأشياء بسعي الإنسان، وكل شيء حسن بهذا الاعتبار؛ لأنه مظهر الإبداع والنظام. ولا يقع الإنسان في شيء يسوءه إلا بتقصير منه في استبانة الأسباب وتعرُّف السنن، وقد أوتي قدرة على العمل اختيارا في تقدير الباعث الفطري وما يترتب عليه من درء المضار وجلب المنافع.

فينبغي لمن أصابه سوء أن يبحث عن سببه من نفسه، وألا يكتفي بإسناده إلى غيره؛ لأن السيئة تصيب الإنسان بتقصيره وخروجه عن سُنَّة الله في التماس المنفعة من أبوابها، واتقاء المضار باتقاء أسبابها؛ لأن الأصل في نظام الفطرة البشرية هو ما يجد الإنسان في نفسه من ترجيح الخير لها على الشر، والنافع على الضار[2].

ولعل تدبر آيات القرآن الكريم وفق هذه الرؤية الشاملة الكاملة يجعلنا نقف على المنهاج القرآني لكيفية التعامل مع الحياة الإنسانية من جوانبها كلها، ويقصر الطريق أمامنا عن طريق الاستفادة مما وقع للأمم الغابرة من ازدهار وانهيار، وقيام

(١) الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية، مجلة المنار، ١٦ جمادى الآخرة - ١٣٢٠هـ، المجلد الخامس (ص٤٤٣). أحلام في السياسة وكيف يتحقق السلام، لطنطاوي (ص١٨).

(٢) ينظر: مبدأ السببية في الفكر الإسلامي في العصر الحديث، لمحمود نفيسة (ص٥١٧). وتفسير المنار، لرشيد رضا (٥/ ٢١٨). ونظام الإسلام العقيدة والعبادة، لمحمد مبارك (ص٨٣).

وسقوط؛ من أجل العمل وفق سُنن النهوض، وتجنب سُنن السقوط.

والجدير بالذكر هنا أننا من خلال السُّنن الإلهية يمكن أن «نفسر الإصابات والارتكاسات، وتوالي الهزائم، واستمرار السقوط، والانحدار، والانكسار، والتراجع الذي يمنى به العالم الإسلامي والمسلمون بشكل عام»[1].

ومن شأن هذه السُّنن أيضا أن توقفنا على مقومات النهوض، وأن تساعدنا على إدراك المقاصد وإبصار المخارج، وتحصيل المؤهلات، وامتلاك الوسائل في مسيرتنا العمرانية، ومن شأنها أن تمكننا من تصويب الحاضر وإدراك أسباب تغيير المجتمع إلى الارتقاء أو الارتكاس للاهتداء إليها والاتعاظ بها لبناء المستقبل ولتحقيق الوقاية الحضارية[2].

ذلك، ولو «تأمَّل المسلمون تاريخ أمتهم مليا؛ لأدركوا أن عزتها ومجدها وسمو حضارتها كان مرتبطا بسنن قرآنية وقواعد وضوابط ربانية محددة لا تتخلف إلا بقدر ما يتخلفون هم عنها»٣.

وتأكيدا لضرورة العمل بمقتضى السُّنن الإلهية وتسخيرها، يقول الشيخ محمد الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أصبحنا نسمع بضرورة الإفادة من هذه السنن، بل لعل ذلك أصبح قناعة عند الناس بشكل عام، لكن هذه القناعة لم تجد طريقها إلى الممارسة، ولم تنتقل بمواقعنا إلى مراحل تغييرية (...) ولو أخذت أبعادًا حقيقية لكانت الأمة انتقلت من الفكر إلى الفعل، فالتحول وإعمال السُّنن هو المختبر الحقيقي لإدراكها والقناعة بها. إن هذه القضية لم تُشكِّل مناخا عاما يعيشه

(١) من فقه التغيير، لعمر حسنة (ص٩٤).

(٢) رؤية في منهجية التغيير، لعمر حسنة (ص٣٠).

(٣) نحو تجديد منهج النظر في قضايا الفكر الإسلامي آراء وتحاليل، للمصطفى الهند (ص١٩).

المجتمع، أو لم تحفر بعد في واقع الأمة المجرى المطلوب لسيرورتها»[1].

وهكذا فمن «اتخذ سُنن الله مطية في بدايته أشرقت نهايته، وبوركت مسيرته، وثبتت أركان دولته ثبات الكلمة الطيبة التي مثلها القرآن الكريم بشجرة مباركة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها. ومن نأى عنها وحاد عن مهيعها؛ استدرجه قدر الله من حيث لا يحتسب، وجاءه حتفه من حيث لا يشعر»[2].

❁ ومن السُّنن التي يجب مراعاتها مثلا سُنَّة الله في الأسباب ومسبباتها:

ذلك بأن القرآن الكريم حافل بالآيات التي تدعو إلى مراعاة الأسباب والمسببات، ألم يقل سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لأم عيسى مريم البتول عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾﴾ [سورة مريم: ٢٥]، وهو القادر أن يقول للشيء، كُنْ فيكون، ومع ذلك أمرها باتخاذ الأسباب.

ومن هذه الآيات الكريمة كذلك التي تتحدث عن الأسباب وضرورة الأخذ بها والتعامل معها لتكون عبرة لأولي الأبصار قوله جَلَّ وَعَلَا عن ذي القرنين الذي سخر الله له الأسباب: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾﴾ [الكهف: ٨٤].

وقوله تعالى في أسباب الرزق: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة: ٢٢].

وسنة الله تعالى في الأسباب والمسببات تشغل مساحة واسعة وكبيرة بالنسبة

(١) كيف نتعامل مع القرآن، للغزالي (ص٥٣).

(٢) السُّنن الإلهية في السيرة النبوية، لكهوس (ص١٤٠).

للسنن الأخرى، بل إن السُّنن الأخرى تقوم كلها على سُنَّته تعالى في الأسباب بصورة مباشرة أو غير مباشرة، حتى لتبدو للمتأمل فيها كأنها من مفردات سُنَّة الله في الأسباب وليست سننا مستقلة، وكل السُّنن تبقى مع ذلك قائمة على سُنَّة الله تعالى في الأسباب ومعتمدة عليها.

وما أصاب الأمة الإسلامية اليوم، إلا بسبب كسلها وخمولها، واكتفائها بالأماني المعسولة والأحلام، وعدم الأخذ بأسباب التغيير والبناء، فكان حالها ما نراه اليوم من الخطوب التي تلهب ظهرها بكرة وعشيًّا.

والحاصل أن المسلم يأخذ بسنن الأسباب، ولا يعتقد بأن الأسباب هي المنشئة للمسببات، بل يرد الأمر كله إلى خالق الأسباب، ويتعلق به عَزَّوَجَلَّ وحده بعد الإعداد وتوفير الأسباب، وأداء واجبه في السعي والكدح والعمل طاعة لأمر الله تعالى.

والإيمان بالله تعالى والاعتماد عليه لا ينافي أبدًا الاستفادة من سُنن الله التي جعلها في الكون، ولا يناقض اتخاذ الأسباب.

ولذلك فإن الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ إذا أراد وقوع شيء في هذا الوجود هيَّأ له أسبابه التي يقع بها، لأنه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ «جعل نظام هذا الكون مبنيًا على سُنن لا تنخرم، وقوانين لا تنخرق إلا بمشيئته سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، كما هو الشأن في المعجزات وخوارق العادات، وهو استثناء من القاعدة التي قام عليها الكون من اعتبار الأسباب حقيقة في الوصول إلى مسبباتها، وقد قيل: إذا أراد الله أمرًا يسَّر أسبابه»[1].

فترك الأسباب إذن جهل بالدين؛ لأن سُنَّة الأخذ بالأسباب لها علاقة وطيدة بسنن أخرى: كسنن الرزق، والهدى، والإصلاح، والتغيير الفردي والاجتماعي، والبناء الحضاري، وإحقاق الحق، وإبطال الباطل.

(١) السُّنن الإلهية، لعاشور (ص١٤٩).

فالتقصير في تحصيل سُنن الله التي أمرنا بالسير على هديها تترتب عليه نتائج وخيمة، ومن ثم لا يتأتى على هذا التقصير في تحصيلها مدد من الله، أو خرق لناموسه الكوني الذي قام نظام الحياة فيه على ارتباط النتائج بمقدماتها، وفضل الله لا يتأتى بمعصيته، ولذلك فانتظار خرق الناموس الكوني دون السعي الحثيث واتخاذ الأسباب المطلوبة شرعًا يعد وهمًا مآله الخيبة والخسارة.

فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ربط الأسباب بمسبباتها شرعًا وقدرًا، وجعل الأسباب محل حكمته في أمره الديني والشرعي وأمره الكوني، ومحل ملكه وتصرفه، فإنكار الأسباب والقوى والطبائع جحد للضروريات، وقدح في العقول والفطرة، ومكابرة للحس وجحد للشرع والجزاء، فقد جعل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مصالح العباد في معاشهم ومعادهم، والثواب والعقاب والحدود والكفارات، والأوامر والنواهي، والحل والحرمة – كل ذلك – مرتبطًا بالأسباب قائمًا بها، بل العبد نفسه وصفاته وأفعاله سبب لما يصدر عنه ، بل الموجودات كلها أسباب ومسببات، والشرع كله أسباب ومسببات، والقدر جار عليها متصرف فيها.

فالأسباب محل الشرع والقدر، والقرآن مملوء من إثبات الأسباب ولو تتبعنا ما يفيد ذلك من القرآن والسنة لزاد على عشرة آلاف موضع حقيقة لا مبالغة[(١)].

لذلك وجب على الإنسان أن يسعى في تدبير أمور نفسه بحسب ما علمه من السُّنن الإلهية في نظام الأسباب وارتباطها بالمسببات، معتقدًا أن الأسباب لم تكن أسبابًا إلا بتسخير الله تعالى وأن ما يناله باستعمالها، فهو من فضل ربه الذي سخرها وجعلها أسبابًا وعلمه ذلك[(٢)].

---

(١) انظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للألوسي (١/ ١٨٩). شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، لابن قيم الجوزية (ص٣٩٣).

(٢) تفسير المنار (٩/ ٥٩٣).

فشأن المؤمن المتوكل في دائرة الأسباب أن يطلب كل شيء من سببه، خضوعًا لسننه تعالى في نظام خلقه، وهو بذلك يطلبها من حيث أمره أن يطلبها أمرًا تكوينيًا قدريًا وتشريعيًا وتكليفيًا[1].

خلاصة القول: إن السير في الدنيا دون الوقوف على شيء من علم السُّنن ضرب في متاهة، ومشي في غياهب الظُّلَم بلا دليل يقود، ولا هاد يرشد، ولا صاحب يدل؛ لأنه فَقْدٌ لاستصحاب جزء من المعرفة التي يترتب عليها الإعداد لكل نازلة، أو الإفادة من كل منحة[2].

وإن السُّنن الإلهية التي سار عليها الرعيل الأول رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وحققوا بها الريادة والصدارة، وكانوا بحق خير أمة أخرجت للناس، هي نفسها الخالدة في كتاب رب العالمين بشرائطها وموانعها لم تتغير ولم تتبدل، صالحة لكل عصر ومصر إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فما على الأمة اليوم إلا أن تجدد النظر في هذا الكتاب الحكيم حتى يتبين لها إعجازه الخالد وأسرار آياته وسُننه، فتسلك طريقه فتحقق بذلك ما عجزت عن تحقيقه الأمم.

وهكذا يبقى القرآن الكريم المعجزة الخالدة، كنز يستفتحه كل عصر بأدواته ليأخذ منه ما تسنى له من جواهره ودرره، ويقتبس من أنواره، ويقف عند فوائده وفرائده، وهو كريم كلما استثير أعطى، وهو منبع العلوم والمعارف ومفتاح الهدى والرشاد، والحل الوحيد لكل المشكلات والمعضلات التي حلَّت بنا اليوم؛ لأنه ليس بمعزل عن الحياة الإنسانية ومشكلاتها وعقباتها وتقلباتها، بل جاء ليهدي الناس جميعا إلى سننه تعالى الكونية والاجتماعية، ويقودهم إلى

---

(١) المرجع نفسه (١٠/ ١٢٧).

(٢) فقه السُّنن الربانية ومدى إفادة المسلمين منها قراء في فكر الإمام محمد عبده، لرمضان خميس (ص٣٩).

طريق الحق واليقين في كل أمر من أمور دينهم ودنياهم، وصدق الله القائل في محكم التنزيل: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨].

خاتمة

من خلال ما سبق نصل إلى النتائج الآتية:

- **إن القرآن الكريم أبرزَ السُّنن الإلهية**، وبيّن أهميتها في حياة الأفراد والأمم والحضارات وأثر العناية بها.
- **إن أصل علم السُّنن الإلهية في القرآن الكريم الذي أسبغ عليه المشروعية**، فالسُّنن الإلهية بذلك قطعية من حيث الثبوت والدلالة والاعتبار.
- **إن السُّنن الإلهية منها ما يتعلق بالكون** (وهذا النوع خارج عن إرادة الإنسان واختياره)، ومنها ما يتعلق بسلوك الإنسان - وحركته في المجتمع والتاريخ - وتكليفه الشرعي. وهذان النوعان مرتبطان بينهما ولا يمكن فصل أحدهما عن الآخر.
- **إن عدم مراعاة السُّنن الإلهية في الحياة الإنسانية** له آثار وخيمة على الإنسان فردًا أو جماعةً أو أُمّةً وحضارةً.
- **إن التدبر السُّننيّ للقرآن الكريم يعطينا رؤية كلية تكاملية شاملة للكون والحياة**، ويأخذنا في اتجاه جديد صحيح أكثر فعالية وأصالة وتأثيرًا، وينقلنا من حالة ترديد آيات لا ندرك معناها ولا مغزاها ولا كنهها، إلى تدبر سُننيّ واع يعقبه عمل وتطبيق، وينقلنا من النظرة الجزئية الضيقة للنص القرآني، إلى النظرة الكلية المقاصدية السُّننيَّة المنضبطة، التي تكشف لنا ما وراء النص من سُنن وأحكام مطردة، تنفعنا في مسيرتنا العمرانية الاستخلافية نحو المستقبل المنشود، ونحو الحياة الخالدة عند رب العالمين.

توصيات البحث

يوصي الباحث بإدراج مادة «السُّنن الإلهية» ضمن المساقات الدراسية بجامعات العلوم الشرعية وكلياتها.

كما يوصي الباحثين بتخصيص رسائلهم الجامعية في دراسة السُّنن الإلهية في القرآن الكريم، تنظيرًا وتطبيقًا.

والحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

١. «**أحكام القرآن**». الجصاص، أحمد بن علي أبو بكر الرازي الحنفي (ت: ٣٧٠هـ). تحقيق: محمد صادق القمحاوي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٥هـ.

٢. «**أحلام في السياسة وكيف يتحقق السلام**». طنطاوي، جوهري. مصر: طبع مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٣٥٤هـ - ١٩٣٥م.

٣. «**أساس البلاغة**». الزمخشري، جار الله فخر خوارزم محمود بن عمر. قدم له وشرح غريبه وعلق عليه: محمد أحمد قاسم، ط١، صيدا - بيروت: المكتبة العصرية، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

٤. «**الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية**». عبده، محمد. مجلة المنار، م(٥)، ج(١٢)، ١٦ جمادى الآخرة ١٣٢٠هـ - ١٩ سبتمبر ١٩٠٢م (ص ٤٤١-٤٦٥).

٥. «**أزمتنا الحضارية في ضوء سُنَّة الله في الخلق**». كنعان، أحمد محمد. تقديم: عمر عبيد حسنة. كتاب الأمة (٢٦)، ط١، قطر: مركز البحوث والمعلومات برئاسة المحاكم الشرعية والشؤون بدولة، المحرم ١٤١١هـ.

٦. «**إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني**». الخالدي، صلاح. ط١، عمان: دار عمار، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

٧. «**بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**». الفيروزآبادي، مجد

الدين محمد بن يعقوب (ت٨١٧هـ). تحقيق: محمد علي النجار، ط٣، القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

٨. «**تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد**». ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي (ت: ١٣٩٣هـ)، تونس: الدار التونسية، ١٩٨٤هـ.

٩. «**التفسير الإسلامي للتاريخ**». خليل، عماد الدين. ط٤، بيروت: دار العلم للملايين، نوفمبر ١٩٨٣م.

١٠. «**تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن**». الهرري، محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الشافعي. إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي، ط١، بيروت: دار طوق النجاة، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

١١. «**تفسير القرآن**». السمعاني، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت: ٤٨٩هـ). تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، ط١، الرياض: دار الوطن، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

١٢. «**تفسير القرآن الحكيم**» (**تفسير المنار**). رضا، محمد رشيد بن علي القلموني الحسيني (ت: ١٣٥٤هـ). (د.ط)، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.

١٣. «**تفسير القرآن العظيم**»، ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ). تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ط٢، دار طيبة، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

١٤. «التفسير القرآني للقرآن». الخطيب، عبد الكريم يونس (ت: بعد ١٣٩٠هـ). (د.ط)، القاهرة: دار الفكر العربي – القاهرة، (د.ت).

١٥. «تفسير الشعراوي – الخواطر». الشعراوي، محمد متولي (ت: ١٤١٨هـ). (د.ط)، مصر: مطابع أخبار اليوم، ١٩٩٧م.

١٦. «تفسير المراغي». المراغي، أحمد بن مصطفى (ت ١٣٧١هـ). ط١، مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده، ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م.

١٧. «التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج». الزحيلي، وهبة بن مصطفى. ط٢، دمشق: دار الفكر المعاصر، ١٤١٨هـ.

١٨. «تفسير النكت والعيون». الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي (ت: ٤٥٠هـ). تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، (د.ط)، بيروت: دار الكتب العلمية، (د.ت).

١٩. «التيسير في أحاديث التفسير». الناصري، محمد المكي (ت: ١٤١٤هـ). ط١، بيروت: دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٢٠. «الجامع لأحكام القرآن». القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين (ت: ٦٧١هـ). تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط٢، القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

٢١. «جامع الرسائل». ابن تيمية، تقي الدين أبو العَباس أحمد بن عبد الحليم

بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد الحراني الحنبلي الدمشقي (ت: ٧٢٨هـ). تحقيق: محمد رشاد سالم، ط١، الرياض: دار العطاء، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٢٢. «**رؤية في منهجية التغيير**». حسنة، عمر عبيد. ط١، بيروت، دمشق، عمان: المكتب الإسلامي، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

٢٣. «**روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**». الألوسي، محمود أبو الفضل. (د. ط)، بيروت: دار إحياء التراث العربي، (د. ت).

٢٤. «**زهرة التفاسير**». أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف (المتوفى: ١٣٩٤هـ). (د. ط)، دار الفكر العربي، (د. ت).

٢٥. «**السُّنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية**». زيدان، عبد الكريم. ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة. ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

٢٦. «**السُّنن الإلهية في الأمم والأفراد في القرآن الكريم: أصول وضوابط**». عاشور، مجدي محمد. إشراف: مصطفى محمد الشكعة. تقديم: علي جمعة، ط١، القاهرة: دار السلام، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

٢٧. «**السُّنن الإلهية في الحياة الإنسانية وأثر الإيمان بها في العقيدة والسلوك**». الخطيب، شريف الشيخ صالح أحمد. ط١، الرياض: مكتبة الرشد لنشر والتوزيع، عَمَّان: الدار العثمانية، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

٢٨. «**السُّنن الإلهية في السيرة النبوية**». كهوس، رشيد. ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠١٠م.

٢٩. «سنن الطبيعة والمجتمع في القرآن الكريم دراسة تأصيلية تطبيقية». جاسم، بكار محمود الحاج. ط١، دمشق - بيروت: دار النوادر، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.

٣٠. «سنن القرآن في قيام الحضارات وسقوطها». هيشور، محمد. ط١، القاهرة: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، سلسلة الرسائل الجامعية (٣٠)، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

٣١. «شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل». ابن القيم، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي الجوزية. (د.ط)، بيروت: دار المعرفة، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

٣٢. «صيقل الإسلام». النورسي، بديع الزمان (ت: ١٣٧٩هـ). ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، ط٣، مصر: شركة سوزلر، ٢٠٠٢.

٣٣. «على مشارف القرن الخامس عشر الهجري، دراسة للسنن الإلهية والمسلم المعاصر». الوزير، إبراهيم بن علي. ط٤، مصر - لبنان: دار الشروق، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

٣٤. «علم السُّنن الإلهية من الوعي النظري إلى التأسيس العملي». كُهُوس، رشيد. ط١، دبي: مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م.

٣٥. «فقه السُّنن الربانية ومدى إفادة المسلمين منها قراءة في فكر الإمام محمد عبده». زكي، رمضان خميس زكي. ط١، القاهرة: دار المقاصد، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م.

٣٦. «في ظلال القرآن». قطب، سيد إبراهيم حسين الشاربي (ت: ١٣٨٥هـ). ط١٧، بيروت، القاهرة: دار الشروق، ١٤١٢هـ.

٣٧. «القاموس القويم في القرآن الكريم». عبد الفتاح، إبراهيم أحمد. (د. ط)، القاهرة: مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م.

٣٨. «الكلمات». النورسي، سعيد. ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، ط٢، القاهرة: نشر دار «سوزلر»، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

٣٩. «كيف نتعامل مع القرآن». الغزالي، محمد. سلسلة قضايا الفكر الإسلامي، منشورات المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط٣، المنصورة: دار الوفاء، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

٤٠. «لسان العرب». ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن على الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت: ٧١١هـ). ط٣، بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ.

٤١. «اللمعات». النورسي، بديع الزمان. ترجمة: إحسان قاسم الصالحي. (د. ط)، مصر: سوزلر، (د.ت).

٤٢. «مبدأ السببية في الفكر الإسلامي في العصر الحديث: دراسة تأصيلية مقارنة». نفيسة، محمود محمد عيد. ط١، دمشق - بيروت: دار النوادر، ١٤٢١هـ - ٢٠١٠م.

٤٣. «المثنوي العربي». النورسي، بديع الزمان. تحقيق: إحسان قاسم الصالحي، ط١، مصر: شركة سوزلر للنشر، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

٤٤. «مجموع الفتاوى». ابن تيمية. تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن

قاسم. (د. ط)، المدينة النبوية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

٤٥. «**محاسن التأويل**». القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق (ت: ١٣٣٢هـ). تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ.

٤٦. «**مختار الصحاح**». الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر. ط١، بيروت: دار الفكر، ١٩٩٧م.

٤٧. «**مراجعات في الفكر والدعوة والحركة**». حسنة، عمر عبيد. منشورات المعهد العالي للفكر الإسلامي، ط٢، الرياض: الدار العالمية للكتاب الإسلامي، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

٤٨. «**المصباح المنير**». المقرئ، أحمد بن محمد بن علي الفيومي. ط٣، صيدا - بيروت: المكتبة العصرية، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٤٩. «**مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير**». الرازي، أبو عبد الله فخر الدين محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي (ت: ٦٠٦هـ). ط٣، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ.

٥٠. «**مفردات ألفاظ القرآن**». الأصفهاني، الراغب (ت٤٢٥هـ). تحقيق: صفوان عدنان داوودي، ط٣، دمشق: دار القلم، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

٥١. «**مفهوم السُّنن الإلهية في الفكر الإسلامي**». محيي الدين، حازم زكريا. ط١، دمشق - بيروت: دار النوادر، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

٥٢. «**مفهوم السُّنن الربانية**». زكي، رمضان خميس. ط١، القاهرة: مكتبة

الشروق الدولية، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

٥٣. «مفهوم السُّنن الربانية من الفهم إلى التسخير». زكي، رمضان خميس. ط١، القاهرة: دار المقاصد، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م.

٥٤. «معجم ألفاظ القرآن الكريم». الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر. ط٢، القاهرة: مجمع اللغة العربية، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م.

٥٥. «المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم». عبد الباقي، محمد فؤاد. (د. ط)، القاهرة: دار الحديث. ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٥٦. «معجم مقاييس اللغة». الرازي، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني أبو الحسين (ت: ٣٩٥هـ). تحقيق: عبد السلام محمد هارون. (د. ط)، بيروت: دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٥٧. «الملاحق في فقه دعوة النور». النورسي، بديع الزمان. ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، ط٣، مصر: سوزلر، ١٩٩٩.

٥٨. «من فقه التغيير ملامح من المنهج النبوي». حسنة، عمر عبيد. ط١، بيروت، دمشق، عمان: المكتب الإسلامي، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

٥٩. «المنهج السنني أفق حضاري متجدد». حسنة، عمر عبيد. ط١، بيروت، دمشق، عمان: المكتب الإسلامي، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

٦٠. «موسوعة الألفاظ القرآنية». النَّعال، مختار فوزي. تقديم: بكري شيخ أمين، ط١، حلب، اليمامة، دمشق، بيروت: مكتبة دار التراث، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

٦١. «النبوات». ابن تيمية. تحقيق: عبد العزيز بن صالح الطويان، ط١،

الرياض: أضواء السلف، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

٦٢. «نحو تجديد منهج النظر في قضايا الفكر الإسلامي آراء وتحاليل». الهند، مولاي المصطفى. ط١، الرباط: الرابطة المحمدية للعلماء، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.

٦٣. «نحو قراءة جديدة للسيرة النبوية: سُنَّة الله في جهاد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ». كهوس، رشيد. ط١، القاهرة: دار الحكمة، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.

٦٤. «نظام الإسلام العقيدة والعبادة»، المبارك، محمد. ط١، دمشق: دار الفكر، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.

٦٥. ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾﴾، رضا، محمد رشيد. (د. ط)، مجلة المنار، م(١)، (٣١)، ٢ جمادى الآخرة ١٣١٦هـ (ص٥٨٥ - ٥٩٢).

الفهرس

الموضـــــــــــــــــــــوع	رقم الصفحة
■ ملخص البحث	١٤٧
■ مقدمة	١٤٩
❁ المبحث الأول: مفهوم السُّنن الإلهية الكونية والاجتماعية	١٥٥
■ المطلب الأول: في تعريف السُّنن الإلهية	١٥٥
■ المطلب الثاني: في تعريف السُّنن الإلهية الكونية والاجتماعية	١٧٢
❁ المبحث الثاني: حجية السُّنن الإلهية وأثر مراعاتها والعمل بمقتضاها	١٧٩
■ المطلب الأول: حجية السُّنن الإلهية	١٧٩
■ المطلب الثاني: آثار مراعاة السُّنن الإلهية والعمل بمقتضاها	١٨٣
❁ خاتمة	١٩٥
❁ المصادر والمراجع	١٩٧